

٢٣

سلسلة الدروس الثقافية

رحلة الآخرة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org
شبكة المعارف الإسلامية



رحلة الآخرة

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠
ص.ب. ٢٥/٣٢٧ . ٢٤/٥٣



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: رحلة الآخرة

إعداد: مركز نون للتأليف و الترجمة

نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الأولى تشرين الأول 2008م-1429هـ

رحلة الآخرة

مركز نون للتأليف والترجمة
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

﴿ وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (١)

من المعلوم أنَّ الموت ليس النهاية لوجود الإنسان، بل هو ابتداء مرحلة جديدة من مسيرته، فبالموت تنفصل الروح عن الجسد، وتنتقل إلى العالم الأرحب، عالم البرزخ، الذي تنكشف فيه الكثير من الحقائق التي كانت خافيةً علينا في الدنيا.

وحتميَّة موت الجسد والانتقال لذلك العالم، والشعور بقصر أمد هذه الحياة الدنيا أمر ايجابي، إذ يجعل المرء على أهبة الإستعداد دائماً للإنتقال، إلا أنَّ الإنسان ولانشغاله بالدنيا وهمومها، ومشاغلها ينسى الموت، حتى تأتيه ساعته بغتة...

فماذا ينتظر الإنسانَ بعد هذا العالم؟ وما هي المراحل التي يطويها قبل الوصول إلى يوم القيامة؟

وما هي القيامة وما الذي يجري في يوم الحساب؟

أسئلة كثيرة، وهي غاية في الأهمية، سنلقي الضوء عليها، مستلهمين ما ورد في كتاب الله تعالى والأحاديث الشريفة، سائلين الله تعالى أن يجعلنا من الفائزين في ذلك اليوم، إنَّه سميع مجيب.



---

(١) ق: ١٩ - ٢٢

الدرس الأول

ما هو الموت

تمهيد

هــو آخر أيام الدنيا وأول منازل الآخرة، وهو بمثابــة القنطرة التي يعبر عبرها الإنسان من مكان إلى آخر، والموت هو هذه القنطرة التي يعبر من خلالها الإنسان من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة.

إلــى عالــم لا زيـف فيه حيث تبـدو كلُّ الحقائق ماثلــةً أمام العيــن، وهو ارتقاء لمرحلة أقوى وأشد حياة من الحياة الدنيوية المادية.

الموت في الأحاديث الشريفة

وصفت الروايات الشريفة الموت بالعديد من الأوصاف، منها :

الجسر:

فقد وصــف النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الموت بقوله: «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنّاتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم»[١].

فحريــة المؤمــن في التخلص من قيود الدنيا وأسـرها، لعالــم القرب من الله

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٦ ص ١٥٤

تعالى، وكلُّ ما في الدنيا بالنسـبة له بلاء وامتحان، ولذلك كانت سـجناً كبيراً، أمَّا بالنسـبة للكافـر فالدنيا هي الجنّة لأنَّه لـم يعش فيها بهمٍّ سـواها، ولم يكن يعمل لذلـك اليوم الذي هو أحوج ما يكون فيه لِمَا اسـتغلَّه فـي دنياه التي ذهبت إلى غير رجعة، ولاتَ حين مندم.

القنطرة:

وتحـدّث الإمام الحسـين بـن علي عليه السلام عن المـوت فقال: «مـا الموت إلاّ قنطـرة تعبر بكم من البؤس والضّـراء إلى الجنان الواسـعة، والنعيم الدائم، فأيُّكـم يكـره أن ينتقـل من سـجن إلى قصـر»[١]. فهـو ليس بالنهايـة، بل هو البدايـة للعالـم الآخـر، العالـم الـذي تتجلـى فيـه كلُّ الحقائق التـي لم نكن ندركهـا بالحواس المحدودة في إطار المـادة، فهناك العالـم الأرحب، ولذا شبَّهها عليه السلام بالقصـر.

النوم الطويل:

فقد سئل الإمام الباقر عليه السلام: ما الموت؟ قال: «هو النوم الذي يأتيكم كلَّ ليلة إلاّ أنّه طويل مدّته، لا يُنتبه منه إلى يوم القيامة...»[٢].

الموت سنَّةٌ عامةٌ في الخلق

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَئِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[٤].

إنَّ الموت هو الحقيقة الحتمية التي لا مفر منها لأحد، مهما علا شأنه في الدنيا، فالبشر يموتون حتى الأنبياء منهم، ولو كان الخلد يحقُّ لأحد لفضل استحقه، لكان الأنبياء عليهم السلام أحـقَّ الناس بالخلد، وإلى هذا المعنى أشـار أمير المؤمنين عليه السلام

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٦ ص ١٥٤
(٢) م.ن - ج ٦ ص ١٥٥
(٣) الأنبياء: ٣٤
(٤) آل عمران: الآية ١٨٥

في الشعر المنسوب اليه في رثاء حبيبه رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

الــمــوتُ لا والــــداً يُـبْـقِــي وَلا وَلَـــداً
هــذا الـسـبـيـل إلـــى أن لا تــرى أحَـــدَا

هـــذا الـنـبـيٌّ ولـــم يـخـلـدْ لأمَّـتِـــه
لــو خَــلَّــدَ الله خـلـقَـاً قـبْـلَـهُ خـلـدا

لـلـمـوت فـيـنـا سـهـامٌ غـيـرُ خـاطـئـةٍ
مـن فـاتـه الـيـوم سـهـمٌ لـم يـفُـتـهُ غَـدَا

ويقـول الإمام علي عليه السلام: «ولـو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سلّماً، أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام، الذي سخّر له ملك الجنّ والإنس»[١]

ما هي حقيقة الموت؟

أكّد بيان الله تعالى في القرآن الكريم، في أكثر من موضع، أنَّ الموت ليسَ عدماً، وإنَّما هو انتقال من الحياة الدنيوية هذه إلى الحياة البرزخية التي تفصل ما بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

.. ولمّا كان الموت - فيما أخبر عنه القرآن الكريم- انفصالَ الروح عن الجسد فإنَّ كلَّ ما نراه من أمور عند موت الإنسان،كسكون القلب، وغياب الإحساس،... هذه الأمور وأمثالها ليست هي جوهر الموت، وإنَّما هي من عوارضه وآثاره.

وقد يؤمن أناس بأنَّ الموت هو انتهاء من الحياة إلى العدم، فأصبحت كلمة «العدم» تعبيراً عن الموت عندهم، ولكنَّ الموت -كما أخبرَنا عنه «خالق الموت والحياة عزّ وجلّ»- ليس عدَما، بل هو انتقال الكائن الحيّ من هذه الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ.. ومن ثم لما أعدّه الله له من نعيم القبر أو عذابه..

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢

يقـول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب عليه السلام: «أيّها الناس، إنّا خلقنا وإيّاكم للبقاء، لا للفناء لكنّكم من دار إلى دار تنقلون»[١].

الموت مرحلة

المـوت هو المرحلة الثالثة من أربع مراحلَ جعل الله سـبحانه وتعالى الإنسـان على ميعادٍ معها:

المرحلة الأولى: حياة الأجنَّة؛ إذ يكون الجنين في عالم الأرحام.

المرحلة الثانية: هي مرحلة هذه الحياة الدنيا، التي نتقلَّب في غمارها ونبتلى فيها، وهي الفرصة السانحة لنا للتزود فيها لسفر الآخرة الطويل والشاق.

المرحلة الثالثة: هي الحياة البرزخيَّة، التي نحن على ميعادٍ معها عمَّا قريب.

المرحلة الرابعة والأخيرة: هي مرحلة الحياة الآخرة.

وكلٌّ مرحلة من هذه المراحل الأربع أوسع من المرحلة التي قبلها، فمرحلة الحياة الدنيا أوسع بكثير من تلك المرحلة التي كنَّا نتقلَّب فيها حينما كنَّا في عالم الأرحام، ومرحلـة الحياة البرزخيَّة هي أوسـعُ بكثيـرٍ وأقوى من هذه الحيـاة التي نتقلَّب فيها اليوم.

لماذا يستوحش الإنسان من الموت؟

إنَّ الإنسـان محـبٌ للبقاء، وهذا ميـلٌ طبيعيٌّ فيه، ويعبِّر عـن ذلك بغريزة حبِّ البقاء، والناس في الحياة الدنيا إزاء الموت على قسمين:

قسـمٌ يسـتوحش منه لأنَّ كواهلهم مثقلة بعظائم الذنوب، فإذا فوجئوا بالموت، يلجأون إلى التوبة والإنابة، ويندمون، ولكن لاتَ ساعة مندم.

وقسـمٌ آخر، يشتاقون إلى الموت ويتلقَّونه بصدورٍ رحبةٍ، ووجوهٍ مشرقةٍ، وهؤلاء

---

(١) المفيد - محمد بن محمد بن النعمان - الإرشاد - دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان- ص ١٢٧

هم الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء، ومن كان يعمل صالحاً في حياته الدنيا من سائر المؤمنين.

فهذا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول في أواخر لحظات حياته: «والله ما فاجأني من الموت واردٌ كرهته، ولا طالعٌ أنكرته، وما كانت إلا كقاربٍ وَرَدَ، وطالبٍ وَجَدَ،وما عند الله خير للأبرار»[١].

ويقول عَلَيْهِ السَّلَامُ :«والله، لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه»[٢].

جهل الناس بأوان موتهم

اقتضت الحكمة الإلهية أن يجهل الناس زمان ومكان موتهم.

يقول سبحانه ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾ [٣].

ولعلَّ الحكمة في ذلك أن يكون الإنسان على استعداد لاستقبال الموت في أيِّ وقت جاء وهو على طاعة الله، ولو علم الإنسان بزمن موته فإنَّ ذلك يشجّعه على الفجور والعصيان متكلاً على التوبة والإنابة والتسويف قبل مدّة من حلول أجله.

يقول الشاعر:

يَا مَنْ بِدُنْيَاهُ انْشَغَلْ
قَدْ غَرَّهُ طُولُ الأَمَلْ
الموتُ يأتِي بَغْتَةً
والقَبْرُ صُنْدُوقُ العَمَلْ

(١) مروج الذهب: ج٢، ص٤٣٦
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٥
(٣) لقمان:٣٤



خلاصة الدرس

المــوت هو آخــر أيام الدنيا وأول منازل الآخرة، وهــو بمثابة القنطرة التي يعبر عبرها الإنسان من مكان إلى آخر.

وصفت الروايات الشريفة الموت بعديد من الصفات منها:

الجسر

القنطرة

النوم الطويل

المــوت هو المرحلة الثالثة من أربع مراحلَ جعل الله سـبحانه وتعالى الإنســان على ميعادٍ معها:

المرحلة الأولى: حياة الأجنَّة

المرحلة الثانية: هي مرحلة هذه الحياة الدنيا

المرحلة الثالثة: هي الحياة البرزخية

المرحلة الرابعة والأخيرة: هي مرحلة الحياة الآخرة.

إنّ الإنســان محــبٌ للبقاء، وهذا ميــلٌ طبيعيٌّ فيه، ويعبِّر عــن ذلك بغريزة حبِّ البقاء، والناس في العلاقة مع الموت على حالتين:

يخافون الموت لأنّ كواهلهم مثقلة بعظائم الذنوب

يشــتاقون إلى الموت ويتلقَّونه بصدور رحبة، ووجوه مشرقة، وهؤلاء هم الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء، ومن كان يعمل صالحاً في حياته الدنيا.

اقتضت الحكمة الإلهية أن يجهل الناس زمان ومكان موتهم.

يقول سبحانه ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾.



١- ما المقصود بأنَّ الموت قنطرة ؟

٢- ما هي المراحل التي يمرُّ بها الإنسان؟

٣- لمَ يخاف بعض الناس من الموت ؟

٤- ما الحكمة من جهل الناس بموعد الموت ؟



﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

عن الإمام الحسين عليه السلام: «ما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم من البؤس والضّراء إلى الجنان الواسعة، والنعيم الدائم، فأيُّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر».



قال أبو العتاهية في ذكر الموت:

سَتُبَاشِرُ التَرِبَاءَ خدَّك

وسَيَضْحَكِ البَاكُونَ بَعْدَكْ

ولـيـنـزلـنَّ بـك البَـلـى
ولـيخـلـفـنَّ المـوتُ عَـهـدَكْ
ولـيـفـنِـيَـنَّـكَ مـثـلَ مـا
أفـنَـى أبَـاكَ بَـلـى وجـدَّكْ
لـو قـد رَحَـلـتَ عَـنِ الـقُـصُـورِ
وطِـيـبِـهَـا وَسَـكَـنْـتَ لَـحـدَكْ
لـم تَـنـتَـفِـعْ إلا بِـفِـعـلٍ
صَـالِـحٍ قَـد كَـانَ عِـنـدَكْ
وتَـرَى الـذيـنَ قَـسَـمْـتَ مَـالَـكَ
بَـيْـنَـهُـم حِـصَـصَـاً وكَـدَّكْ
يَـتَـلَـذَّذُونَ بِـمَـا جَـمَـعْـتَ
لَـهُـمْ وَلا يَـجِـدُونَ فَـقْـدَكْ



روي عن أبي بصير قال: قُلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلتُ فداك يُستكره المؤمنُ على خروجِ نفسه؟

قال: لا واللهِ.

قال: قلتُ: و كيفَ ذاك؟

قال: إنَّ المؤمنَ إذا حضرتْه الوفاةُ حضرَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم و أهلُ بيته: أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب، و فاطمة، و الحسنُ والحسينُ، و جميعُ الأئمّة عليهم السلام، ولكنْ أكِنُّوا عن اسمِ فاطمة ـ و يحضره جبرئيل و ميكائيلُ و إسرافيلُ و عزرائيلُ».

قالَ: فيقولُ أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام: يا رسولَ الله إنّه كانَ ممّنْ يحبّنـا و يتولاّنا فأحِبَّهُ. قال: فيقولُ رسـولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: يـا جبرئيل إنّه ممّنْ كانَ يحبُّ علياً و ذرّيَّتَهُ فأحبّهُ، و قالَ جبرئيلُ لميكائيل وإسرافيل»مثلَ ذلك. ثمَّ يقولون جميعاً لملكِ الموتِ: إنـّه ممّن كانَ يحبّ محمّداً و آله و يتولّى علياً و ذرّيّتَهُ فارفقْ به.

قال: فيقولُ مَلَكُ الموتِ: والّذي اختاركم و كَرّمكم و اصـطفى محمّداً صلّى الله عليه و آله بالنبوّةِ، و خَصّـهُ بالرِّسالةِ، لَأَنَا أرفقُ بِهِ من والدٍ رفيقٍ، وأشفقُ عليه من أخٍ شفيقٍ.

ثـمّ قامَ إليه ملكُ الموتِ فيقول: يا عبدَ الله أخـذتَ فكاك رقبتكَ؟ أَخَذْتَ رَهْنَ أمانِكَ؟

فيقولُ: نَعَم. فيقولُ ملـكُ الموتِ: فبماذا؟ فيقول: بحبّي محمّداً وآله، و بولايتي علي ابن أبي طالب و ذرّيّته.

فيقول: أمّا ما كنتَ تحذرُ فقد آمنك اللّهُ منه، و أمّا ما كنتَ ترجو فقد أتاكَ اللّهُ به. إفتحْ عينيكَ فانظرْ إلى ما عندك.

قـال: فيفتح عينيه فينظرُ إليهم واحداً واحداً، و يُفتحُ له بابٌ إلى الجنّةِ فينظر إليها. فيقولُ له: هذا ما أعَدَّ اللّهُ لكَ، و هؤلاءِ رفقاؤك، أفَتحبّ اللحاقَ بهم أو الرجوعَ إلـى الدنيا؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: أمَا رَأيتَ شُخوصَـهُ وَ رَفْعَ حاجبيْه إلى فوق من قوله:

لاَ حاجةَ لي إلى الدُّنيا و لا الرجوع إليها. و يناديه منادٍ من بطنانِ العرش يسمعه و يسـمع من بحضرته: «**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**» إلى مُحَمَّدٍ وَ وَصِيِّهِ والأئمة مِنْ بَعْدِهِ «**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً**» بالْوِلاَيَةِ، «**مَرْضِيَّةً**» بِالثَّوَابِ، «**فَادْخُلِي فِي عِبَادِي**» مَعَ مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ «**وَادْخُلِي جَنَّتِي**» غَيْرَ مَشُوبَةٍ.

الدرس الثاني

الاحتضار

الإحتضار

﴿فَلَوْلا إذا بَلَغَتِ الحُلْقُوم * وأَنْتُم حِينَئِذٍ تَنْظُرُون * وَنَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْكُم ولكِنْ لا تُبْصِرُون﴾ [١].

يتحدّث القرآن عن فترة الاحتضار، وحركة الروح للخروج من البدن إلى العالم الآخر، فإنَّ الروح تبدأ بالإنسحاب من أطراف الجسد حتى تبلغ التراقي أو الحلقوم، لتخرج أخيراً من أسر الجسد وتنطلق في رحلة عالم البرزخ، روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «أشدُّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فإما إلى الجنّة، وإمّا إلى النّار»[٢].

(١) الواقعة: ٨٣ – ٨٥

(٢) الصدوق – محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي - الوفاة: ٣٨١– الخصال - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة- ١٠٨/١١٩

الاحتضار السهل والعسير

وللمحتضر حالتان، فإمَّا أن يكون احتضاره يسيراً، وإمَّا عسيراً، وهذا يعتمد على حالة المحتضر الدينيَّة وعلاقته بالله، فالنوع اليسير من الاحتضار، لصلحاء المؤمنين، والعسير، للعصاة والكافرين.

فأمَّا المؤمن فينطبق عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾[1].

وعن الإمام أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام: « إنَّ آية المؤمن إذا حضره الموت أن يبيضَّ وجهه أشدَّ من بياض لونه، ويرشح جبينه، ويسيل من عينيه كهيئة الدموع، فيكون ذلك آية خروج روحه، وإنَّ الكافر تخرج روحه سلاًّ من شدقه كزبد البعير... »[2].

أمَّا المجرمون فينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ...** ﴾[3].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ** ﴾[4].

وهي لحظات سمّاها القرآن بغمرات الموت التي تغشى الظالمين، وهم يشاهدون في تلك اللحظات ملائكة العذاب ينتظرون خروج الروح.

ماذا ينكشف بعد الموت ؟

بموت الإنسان وحالما تخرج الروح من البدن تنكشف للإنسان أمور منها:

أ. منزلته من الجنة أو النار:

---

(١) الفجر: ٢٧ ـ ٢٨

(٢) الصدوق(٣٨١هـ) – علي ابن الحسين- من لا يحضره الفقيه - جامعة المدرسين – الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ. - ج١: ٣٦٦/٨١

(٣) الأنعام: ٩٣

(٤) محمَّد: ٢٧

روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتابه لمحمَّد بن أبي بكر لما ولاه مصر: « ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى يعلم أيَّ المنزلتين يصِل ؛ إلى الجنة أم إلى النار، أعدوٌ هو لله أم وليّ، فإن كان وليّاً لله فُتِحت له أبواب الجنة، وشرعت له طرقها، ورأى ما أعدّ الله له فيها، ففرغ من كلِّ شغل، ووضع عنه كلَّ ثقل، وإن كان عدوّاً لله فُتِحت له أبواب النار، وشرعت له طرقها، ونظر إلى ما أعدّ الله له فيها، فاستقبل كلَّ مكروه، وترك كلَّ سرور، كلُّ هذا يكون عند الموت، وعنده يكون اليقين » (١).

ب. تجسّد المال والولد والعمل:

فقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: « إنَّ العبد إذا كان في آخر يومٍ من الدنيا، وأول يومٍ من الآخرة، مَثُلَ له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله ويقول: والله إنِّي كنتُ عليك حريصاً شحيحاً، فما لي عندك ؟ فيقول: خُذ منّي كفنك. قال: فيلتفت إلى ولده، فيقول: والله إنّي كنت لكم محبّاً، وإنِّي كنت عليكم محامياً، فماذا لي عندكم ؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك ونواريك فيها. فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنَّك كنت عليّ لثقيلاً، وإنّي كنت فيك لزاهداً، فماذا عندك ؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك، ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربِّك » (٢).

ج. معاينة النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

قال الشيخ المفيد قَدَّسَ سِرَّهُ: « هذا باب قد أجمع عليه أهل الإمامة، وتواتر الخبر به عن الصادقين من الأئمة» وجاء عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال للحارث الهَمْدَاني رحمه الله:

(١) المفيد – محمد بن محمد بن النعمان – الأمالي – دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ٢٦٣ . ٢٦٤

(٢) الصدوق (٣٨١هـ.) – علي ابن الحسين – من لا يحضره الفقيه – جامعة المدرسين – الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ. – ج ١: ٨٢. ٣٧٣/٨٣

يـــا حـــار هَـــمْـــدَان مـــن يـمُـت يـرنـي
مـــن مـــؤمـــنٍ أو مـــنـــافـــقٍ قـبـلا
يـعـرفـنـي طـرفُـــــهُ وأعـرفُـــــهُ
بِـعَـيـنِـهِ واسـمِـهِ ومَـا فَـعَـلا [١]

ما هي سكرات الموت ؟

يقول اللّه تعالى: ﴿ وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْت بِالْحَقِّ ذَلكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [٢].

وهذه العقبة صعبة جداً وإنَّ شدائدها وصعوباتها تحيط بالمحتضر من جميع الجهات..

فمن جهة تواجهه شدة المرض، وشدة الوجع، واعتقال اللسان، وذهاب القوة من الجسم..

يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال واصفاً تلك الحالة:

«فَغَيْرُ مَوْصُوف مَا نَزَلَ بهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْت وَ حَسْرَةُ الْفَوْت، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ؛ ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيل بَيْنَ أَحَدهِمْ وَ بَيْنَ مَنْطقه، وَ إِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْله يَنْظُرُ ببَصَره وَ يَسْمَعُ بأُذُنه، وَ على صحَّة منْ عَقْله وَ بَقَاء منْ لُبِّه...

فَلَمْ يَزَلْ الْمَوْتُ يُبَالِغُ في جَسَده حَتَّى خَالَطَ لسَانُهُ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْله لاَ يَنْطقُ بلسَانه، وَ لاَ يَسْمَعُ بسَمْعه، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بالنَّظَر في وُجُوههِمْ؛ يَرَى حَرَكَات أَلْسنَتهِمْ وَ لاَ يَسْمَعُ رَجْعَ كَلاَمهِمْ.

ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتيَاطاً به، فَقُبضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبضَ سَمْعُهُ، وَ خَرَجَت الرُّوحُ منْ جَسَده، فَصَارَ جيفَةً بَيْنَ أَهْله، قَدْ أَوْحَشُوا منْ جَانبه، وَ تَبَاعَدُوا منْ قُرْبه، لاَ يُسْعدُ بَاكياً وَ لاَ يُجيبُ دَاعياً» [٣].

---

(١) المفيد – محمد بن محمد بن النعمان – أوائل المقالات- ٧٣ . ٧٤

(٢) ق: الآية ١٩

(٣) نهج البلاغة من الخطبة ١٠٧

ومــن جهة أخرى يواجه بكاء الأهل والعيــال ووداعِهِم له، وغمَّ مفارقته لماله ومنزله وأملاكِه ومدّخراته وأشـيائِه النفسـية، التي صـرف عمره العزيز من أجل تحصـيلها، فبقدر تعلُّق الإنســان بدنياه يكون فراقه لها صـعباً عليه، ويصعِّب عليه سـكرات المـوت، وبقـدر زهده في مالهـا وما فيها مـن متاع وأهل وملـذات، تكون السَّكرات أمراً سهلاً ويسيراً بالنسبة إليه.

ما يهوِّن سكرات الموت:

١ - صلة الرحم:

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

«مَن أحبَّ أن يخفِّف اللّه عزَّ وجلَّ عنه سـكرات الموت فليكن لقرابته وَصـولاً، وبوالديه بارّاً، فإذا كان كذلك هوَّن اللّه عليه سـكرات الموت ولم يصـبه في حياته فقرٌ أبداً»[١].

٢ - برّ الوالدين:

روي أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم حضر شاباً عند وفاته فقال له: قل:«لا إله إلاّ اللّه».

قال: فاعتقل لسانه مراراً.

فقال لامرأة عند رأسه: هل لهذا أمّ ؟

قالت: نعم أنا أمُّه.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفساخِطةٌ أنت عليه؟

قالت: نعم ما كَلَّمتُهُ مُنذُ ستَّة حجج.

قال صلى الله عليه وآله وسلم لها: إرضي عنه.

قالت: رضي اللّه عنه يا رسول اللّه برضاك عنه.

---

(١) الصدوق – محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي – الوفاة: ٣٨١– الأمالي – ص ٣١٨

٢ الكظم – كقفل ومحركة – الحلق ومخرج النفس، يقال: أخذ بكظمه: أي مخرج نفسه. والمراد أنه أكربه.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قل: «لا إله إلاّ الله».

فقالها. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما ترى؟

قال: أرى رجلاً أسود الوجه قبيح المنظر وسخ الثياب منتن الريح قد وليني الساعة، وأخذ بكَظمَيَّ.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم قل: يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير إقبل مِنّي اليسير واعف عنِّي الكثير إنَّك الغفور الرحيم.

فقالها الشاب. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انظر ماذا ترى؟

قال: أرى رجلاً أبيض اللون حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب قد وليني، وأرى الأسود قد تولى عنّي.

فقال له: اعد، فأعاد. فقال له: ما ترى ؟

قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد وليني.

ثمّ طفي على تلك الحال [١].

٣ - كسوة المؤمن:

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَن كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف كان حقّاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنّة، وأن يهوّن عليه سكرات الموت وأن يوسع عليه في قبره»[٢].

٣ - قراءة سورة الزلزلة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تملُّوا مِن قراءة «إذا زلزلت الأرض زلزالها» فإنّه من كانت قراءته بها في نوافله لم يصبه الله عزَّ وجلَّ بزلزلة أبداً، ولم يمت بها، ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدنيا حتّى يموت، وإذا مات نزل عليه ملكٌ كريم من عند ربِّه فيقعد عند رأسه فيقول: يا ملك الموت أرفق بوليّ الله فإنَّه كان كثيراً

(١) الطوسي – محمد بن الحسن – الوفاة: ٤٦٠- الأمالي - دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – قم - ج ١، ص ٦٢-٦٣، ح ٤

(٢) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ٢، ص ٢٠٤، كتاب الإيمان والكفر: باب مَن كسا مؤمناً

يذكرني ويذكر تلاوة هذه السورة، وتقول له السورة مثل ذلك ويقول ملك الموت: قد أمرني ربي أن أسمع له وأطيع ولا أخرج روحه حتى يأمرني بذلك فإذا أمرني أخرجت روحه، ولا يزال ملك الموت عنده حتى تأمره بقبض روحه وإذا كشف له الغطاء فيرى منازله في الجنة فيخرج روحه من ألين ما يكون من العلاج، ثم يشيِّع روحه إلى الجنَّة سبعونَ ألف ملكٍ يبتدرون بها إلى الجنَّة»(١).

العديلةُ عند الموت

وهي تعني العدول من الحقّ إلى الباطل في وقت الموت، وذلك أن يحضر الشيطان عند المحتضر، ويوسوس له حتّى يوقعه في الشك، فيخرجه من نعمة الإيمان، إلى جحيم الشرك أو الكفر، في لحظة أحوج ما يكون فيها الإنسان للتوفيق في الثبات والرحيل إلى ذاك العالم بقلب مملوء بالصلاح والهدى.

أعمال تبعد العديلة

١- المواظبة على أوقات الصلوات الفريضة:

ففي الحديث أنَّ ملك الموت قال:

«.... إنّه ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلاّ وأنا أتصفحهم في كلِّ يوم خمس مرّات، فقال رسول الله ﷺ: إنَّما يتصفحهم في مواقيت الصلاة، فإن كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقنَّه شهادة أن لا إله إلاّ الله محمّداً رسول الله ﷺ، ونحّى عنه ملكُ الموت إبليس»(٢).

٢ – آية ربنا لا تزغ قلوبنا:

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(٣).

---

(١) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ٢ ص ٦٢٦

(٢) م. ن. ج ٣، ص ١٣٦

(٣) آل عمران: ٨

٣ - المواظبة على تسبيح الزهراء عليها السلام

٤ - التختم بخاتم عقيق

وبالخصوص اذا كتب عليه (محمّد نبيٌّ الله وعليٌّ وليُّ الله).

٥ - قراءة سورة (المؤمنون)

في كلِّ نهار جمعة، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَن قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعادة» و «إذا كان يدمن قراءتها في كل جمعة كان منزله في الفردوس الأعلى مع النبيين والمرسلين»[1].



خلاصة الدرس

تبدأ الروح بالانسحاب من أطراف الجسد حتى تبلغ التراقي أو الحلقوم، لتخرج أخيراً من أسر الجسد وتنطلق في رحلة عالم البرزخ.

للمحتضر حالتان، فإمَّا أن يكون احتضاره يسيراً، وإمَّا عسيراً، وهذا يعتمد على حالة المحتضر الدينية وعلاقته بالله، فالنوع اليسير من الاحتضار لصلحاء المؤمنين، والعسير للعصاة والكافرين.

بموت الإنسان وحالما تخرج الروح من البدن تنكشف للإنسان أمور منها:

أ. منزلته من الجنة أو النار

ب. تجسّد المال والولد والعمل:

ج. معاينة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام »:

سكرات الموت عقبة صعبة جداً وإنَّ شدائدها وصعوباتها تحيط بالمحتضر من جميع الجهات..

(١) الصدوق – محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي – الوفاة: ٣٨١–ثواب الأعمال – ص ١٣٥

فمن جهة تواجهه شدة المرض، وشدة الوجع، واعتقال اللسان، وذهاب القوة من الجسم..

العديلة هي العدول من الحقّ إلى الباطل في وقت الموت، وذلك أن يحضر الشيطان عند المحتضر، ويوسوس له حتّى يوقعه في الشك، فيخرجه من نعمة الإيمان، إلى جحيم الشرك أو الكفر، في لحظة أحوج ما يكون فيها الإنسان للتوفيق في الثبات والرحيل إلى ذاك العالم بقلب مملوء بالصلاح والهدى.

للتخفيف من سكرات الموت، وإبعاد شبح العديلة وردت الكثير من الأعمال والأدعية على الإنسان المؤمن أن يواظب عليها.

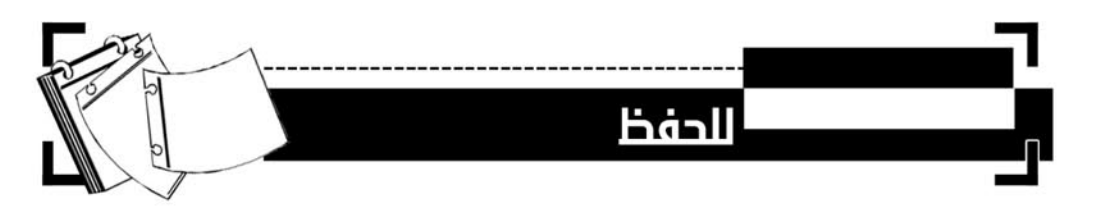


١- ما هو الإحتضار ؟

٢- ماذا يحدث في سكرات الموت ؟

٣- كيف نخفِّف من سكرات الموت ؟

٤- ما هي العديلة ؟



روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتابه لمحمَّد بن أبي بكر لما ولَّاه مصر: « ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى يعلم أيَّ المنزلتين يصِل ؛ إلى الجنة أم إلى النار، أعدوٌ هو لله أم وليّ، فإن كان وليّاً لله فُتِحت له أبواب الجنة، وشرعت له طرقها، ورأى ما أعدّ الله له فيها، ففرغ من كلِّ شغل،

ووضـع عنه كلُّ ثقل، وإن كان عدوّاً لله فُتِحت له أبواب النار، وشـرعت له طرقها، ونظر إلى ما أعدّ الله له فيها، فاسـتقبل كلَّ مكروه، وترك كلّ سـرور، كلُّ هذا يكون عند الموت، وعنده يكون اليقين».



سـرِّح بطرفك أيُّها الإنسان
في الذاهبين كأنَّهم ما كانوا
أين الألى بَنَوا القصور وشيدوا
بنيانها وعن البنا قد بانوا
قد أحكموا أركانها وأساسها
فكأنَّما لم تحكم الأركان
وعن النمارق بالتراب استبدلوا
وعن الحرير لباسها الأكفان
لا يقدرون على التزاور بينهم
فكأنَّهم شتى وهم جيران
قد أبدلوا بطن الثرى عن ظهرها
ومن الصفيح غدا لهم أجنان
بين الفتى غضُّ الشبيبة مدنف
إذ بات تأكل لحمه الديدان



نُقل أنَّ رجلاً كان في مدينة طهران خادماً في الحمام في مسلخه، وكان لا يصلي ولا يصوم، وجاء يوماً إلى المعمار، وقال: أريد أن أبني حمَّاماً.

فقال له المعمار: أنت بهذه الحالة، من أين لك الدراهم.

فقال له: خذ ما شئت.

فبنى له حماماً معروفاً باسمه، وكان اسمه (علي طالب).

قال والدي:

كنت في النجف الأشرف، فرأيت فيما يراه النائم أنَّ علي طالب جاء إلى النجف في وادي السلام.

فتعجبت من ذلك.

وقلت له: ما جاء بك إلى هذا المكان وأنت لا تصلي ولا تصوم ؟

فقال لي: يا هذا، أنا مت، فأخذوني بالأغلال ليأخذوني إلى العذاب. لكن جزى الله الحاجّ الملاّ محمّد الكرمانشاهي خير الجزاء حيث أنّه استأجر فلان نائباً للحجّ، وهو فلان، واستأجر فلاناً للصوم والصلاة، ودفع عني الزكاة والمظالم على يد فلان وفلان. ولم يبقَ شيء عليَّ الاّ أدّاه. فخلصني من العذاب، فجزاه الله عني خير جزاء المحسنين.

فاستيقظت من نومي فزعاً، وتعجَّبت من تلك الرؤيا، فتربَّصت مدة، فجاء أُناسٌ من طهران، فسألت عن أحوال علي طالب، فأخبروني كما رأيت في الرؤيا بأسماء الرجال وما جرى بعد موته.

فتعجبت من صدق تلك الرؤيا ومطابقتها للواقع.

(وفي هذه الرؤيا تصديق لما استفاض عن أهل العصمة من وصول ثواب الصوم والصلاة والحجّ وسائر الخيرات والمبرَّات إلى الميت، وأنّه قد يكون في ضيق فيفرج عنه.

وتصديق لما ورد: من أنَّه ما من مؤمن يموت في شرق الأرض وغربها إلاّ وحشر اللّه روحه في وادي السلام.

وفي بعضها: أما كأنّي بهم خلق قعود يتحدثون.

والحاج المولى أحمد المذكور من علماء طهران الأخيار والصلحاء الأبرار).[1]

(١) دار السلام: ج ٢، ص ٢٤٥.



تمهيد:

البرزخ في اللغة: (الحاجز والحدُّ بين الشيئين).

والبــرزخ ما بين الدنيا والآخرة: قبل الحشــر من وقت المــوت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ [1].

وقد تحدث القرآن الكريم عن البرزخ في قوله سبحانه ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[2]. وفُسِّر بأنه الفترة ما بين الموت والقيامة.

روي عن الإمام الصــادق عليه السلام: «ولكنِّــي والله أتخوَّف عليكم من البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة»[3].

بقاء الروح أساس للإيمان بالبرزخ

تحدّثت الروايات الواردة عن الرســول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة الهداة» عن

---

(١) ابن منظور - لسان العرب، ج٣، مادة برزخ، ص٨

(٢) المؤمنون: الآية ١٠٠

(٣) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية - طهران - الطبعة الخامسة - ج ٣، ص ٢٤٢، ح ٣

مرحلة البرزخ، وما ينتظر الإنسان ويواجهه في ذلك العالم المذهل الغريب.

والتسليم بعالم البرزخ يتوقف على الإيمان بوجود الروح وبقائها حيَّةً بعد انفصالها عن البدن، ذلك لأنَّ النعيم والعذاب المتحققَيْن في هذه المرحلة هما نعيم أو عذاب تتلقاهُ الروحُ حتى يومِ البعث والنشور والمعاد الجسماني، كما استفاد علماء الإسلام ذلك من الآيات والروايات الواردة في هذا الشأن.

فمن تلك الآيات قوله تعالى: **﴿ولا تَحْسَبنَّ الّذينَ قُتلوا في سَبيلِ الله أمواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهم يُرْزَقُون * فَرحينَ بما آتاهُمُ اللهُ من فَضْلِه وَيَسْتَبْشِرُونَ بالّذينَ لَم يَلحقُوا بِهِم مِن خَلْفِهمْ ألاّ خَوْفٌ عَلَيهم وَلا هُمْ يَحْزَنُون * يَسْتَبْشِرُون بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وأنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجْرَ المُؤْمنينَ﴾**[١].

فتلك الآيات الكريمة تتحدث عن حياة الشهداء بعد انفصال أرواحهم عن أجسادها في عالم النعيم والجزاء الإلهي السارّ،والآيات هذه صريحة ـ كلَّ الصراحة ـ في بقاء الأرواح بعد مفارقتها الأبدان ، وهذا العالم كما توضِّحه الروايات: هو قبل عالم البعث والنشور والمعاد الجسماني.

تكوُّن الأرواح في أبدان مثاليَّة

ما يستنتجه التأمّل في الروايات تعلّقُ الروح بأبدانٍ تماثل الأبدان الدنيوية، لكن بلطافَةٍ تناسب الحياة في تلك النَشأة، وقد أوضح الإمام الصادق عليه السلام كيفية بقاء الروح في عالم البرزخ فقد روي عنه عليه السلام : «... فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صيَّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا ، فيأكلون ويشربون، فإذا قدِم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا»[٢].

وقال الشيخ المفيد قدس سره في أجوبة المسائل السروية: «فأمَّا كيفية عذاب الكافر في قبره وتنعّم المؤمن فيه ، فإنَّ الخبر أيضاً قد ورد بأنَّ الله تعالى يجعل

(١) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ٣، ص ٢٤٢، ح ٣

(٢) م.ن. ج ٣ ص ٢٤٥

روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنة من جناته ، ينعّمه فيها إلى يوم الساعة ، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي في التراب وتمزّق ، ثم أعاده إليه وحشره إلى الموقف وأمرَ بِه إلى جنَّة الخلد ولا يزال منعَّماً بإبقاء اللّه .

غير أنَّ جسده الذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا ، بل يعدِّل طباعه ، ويحسِّن صورته ولا يهرم مع تعديل الطباع ولا يمسّه نصب في الجنة ولا لغوب . والكافر يجعل في قالب كقالبه في محلِّ عذاب يعاقب ، ونار يعذَّب بها حتى الساعة ثم ينشئ جسدَه الذي فارقه في القبر فيعاد إليه فيعذَّب به في الآخرة عذاب الأبد ويركَّب أيضاً جسده تركيباً لا يفنى معه»[١].

ماذا يواجه الإنسان في القبر؟

بحسب ما لدينا من روايات فإنَّ الإنسان يواجه في لحظة دخوله القبر وحتى يوم القيامة، أموراً هي كالآتي :

١ ـ وحشة القبر

٢ ـ ضغطة القبر

٣ ـ المساءلة في القبر

وحشةُ القبر وما يرفعها

أرشدتنا الروايات الشريفة إلى أعمال ترفع وحشة القبر، ومن هذه الأعمال:

صلاة ليلة الوحشة:

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال:

«لا يأتي على الميِّت ساعة أشدّ من أول ليلة فارحموا موتاكم بالصدقة، فإن لم تجدوا فليصلِّ أحدكم ركعتين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب مرّة وآية الكرسي مرّة،

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٦ ص ٢٧٢

وقل هو الله أحد مرّتين، وفي الثانية فاتحة الكتاب مرّة وألهاكم التكاثر عشر مرّات وسلم ويقول:

اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وابعث ثوابها إلى قبر ذلك الميت فلان بن فلان، فيبعث الله مِن ساعته ألف ملك إلى قبره مع كل ملك ثوب وحلة ويوسع في قبره من الضيق إلى يوم ينفخ في الصور ويعطى المصلي بعدد ما طلعت عليه الشمس حسنات ويرفع له أربعون درجة»(١).

إتمام الركوع:

عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال:

«مَن أتَمَّ ركوعه لم تدخله وحشة القبر»(٢).

الذكر الخاص:

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن قال مائة مرّة (لا إله إلاّ الله الملك الحقّ المبين) أعاذه الله العزيز الجبار مِنَ الفقر وآنسَ وحشة قبره واستجلب الغنى واستقرع باب الجنّة»(٣).

قراءة سورة (يس) قبل النوم:

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنَّ لكلِّ شيءٍ قلباً وإنَّ قلب القرآن يس، مَن قرأها قبل أن ينام أو في نهاره قبل أن يمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتّى يمسي. ومَن قرأها في ليلة قبل أن ينام وكَّل الله به ألف ملك يحفظونه من شرِّ كلِّ شيطان رجيم، ومن كلِّ آفة. وإنْ مات في يومه أدخله الله به الجنَّة، وحضر غسله ثلاثون ألف ملك كلُّهم يستغفرون له، ويشيِّعونه إلى قبره بالاستغفار له. فإذا دخل في لحده كانوا في جوف قبره يعبدون الله، وثواب عبادتهم

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٨٨ ص ٢١٩

(٢)م . ن .ج٦ ص٢٤٤

(٣)م . ن . ج ٩٠ ص ٢٠٧

له، وفسح له في قبره مدَّ بصره، وأُومن من ضغطة القبر، ولم يزل له في قبره نورٌ ساطع إلى عنان السماء إلى أن يخرجه الله من قبره... الحديث»[١].

صلاة ليلة الرغائب:

وكذلك صلاة ليلة الرغائب، وهي أوّل ليلة من ليالي الجمعة من رجب فيها عمل مأثور عن النبي ﷺ ذو فضل كثير، وقد وقد ورد في فضلها عن رسول الله أنّه قال: « والذي نفسي بيده لا يصلي عبد أو أمة هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه، ولو كان ذنوبه مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزان الجبال وعدد ورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار، فإذا كان أول ليلة في قبره بعث الله إليه ثواب هذه الصلاة في أحسن صورة فيجيئه بوجه طلق ولسان ذلق فيقول: يا حبيبي أبشر فقد نجوت من كل سوء فيقول: من أنت فوالله ما رأيت وجهاً أحسن من وجهك، ولا سمعت كلاماً أحسن من كلامك، و لا شممت رائحةً أطيب من رائحتك، فيقول: يا حبيبي أنا ثواب تلك الصلاة التي صليتها في ليلة كذا من شهر كذا في سنة كذا، جئتك هذه الليلة لأقضي حقك وأونس وحدتك، وأرفع وحشتك، فإذا نفخ في الصور ظللت في عرصة القيمة على رأسك فأبشر فلن تعدم الخير أبداً».

عيادة المريض:

فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «كان فيما ناجى به موسى عليه السلام ربّه أن قال: يا ربّ أعلمني ما بلغ من عيادة المريض من الأجر؟، قال عزّ وجلّ: أوكِّل به ملكاً يعوده في قبره إلى محشره»[٢].

تولّي أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) الحر العاملي - محمد بن الحسن - وسائل الشيعة - دار إحياء التراث - بيروت - ج ٦ ص ٢٤٧

(٢) الكليني-الكافي-دار الكتب الاسلامية- طهران - الطبعة الخامسة - ج٣ ص١٢١

رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري أنَّه قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا علي أبشر وبشِّر فليس على شيعتك حسرة عند الموت، ولا وحشة في القبور، ولا حزن يوم النشور. ولكأنّي بهم يخرجون من جدث القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم ولحاهم، يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إنَّ ربَّنا لغفور شكور الذي أحلَّنا دار المقامة من فضله لا يمسُّنا فيها نصب ولا يمسُّنا فيها لغوب»(١).

ضغطة القبر

تفيد الروايات والبيانات أنَّ الروح تعود إلى الجسد بعد الدفن، ليواجه الإنسان ضغطة القبر والمساءلة فيه من قبل الملائكة المكلفين بذلك.

وورد أيضاً في وصف هذه الضغطة وشدَّتها أنَّ الميِّت يتعرَّض إلى ضمَّة الأرض، إلى الحدّ الذي تُفري لحمه، وتطحن دماغه، وتذيب دهونه، وتخلط أضلاعه، وتكون بسبب النميمة وسوء الخلق مع الأهل، وكثرة الكلام، والتهاون في أمر الطهارة، وقلَّما يسلم منها أحد، إلاّ من استوفى شرط الإيمان، وبلغ درجات الكمال.

وضغطة القبر هذه لا يسلم منها إلاّ قليل من الصالحين، غير أنَّها درجات في الشدة والألم والتخفيف، متناسبة مع عمل المرء ودينه.

فقد روي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد ؟ فقال عليه السلام: «نعوذ بالله منها، ما أقلَّ من يفلت من ضغطة القبر..!»(٢).

المُنجيات من ضَغطَةِ القَبرِ

للنَّجاة من ضغطة القبر الكثير من الأعمال التي حدثتنا عنها روايات أهل البيت عليهم السلام، ولكن علينا أن لا ننسى دائماً أن لا شفيع للمرء خيرٌ من عمله

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة ج ٩٥ - ص ٣٩٦

٢ م.ن- ج ٧ ص ١٩٨

(٢) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج٣، ص ٢٣٦

الصالح، وسنذكر عدة من الأعمال التي ذكرتها الروايات.منها:

*** قراءة سورة النساء:**

رُوِيَ عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال:

«مَن قرأ سورة النساء في كل جمعة أُومِنَ مِن ضغطة القبر»(١).

*** قراءة سورة الزخرف:**

فقد رُوِيَ عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَن أدمَنَ قراءة «حم» الزخرف آمنه الله في قبرهِ من هَوامِّ الأرض وضغطة القبر»(٢).

*** قراءة سورة ن والقلم:**

رُوِيَ عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَن قرأ سورة ن والقلم في فريضة أو نافلة... وأعاذه الله إذا مات مِن ضمَّة القبر»(٣).

*** صلاة الليل:**

فقد رُوِيَ عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: «عليكم بصلاة الليل، فما من عبد يقوم آخر الليل فيصلي ثمان ركعات، وركعتي الشفع، وركعة الوتر، واستغفر الله في قنوته سبعين مرّةً إلاّ أجير مِن عذاب القبر ومِن عذاب النار، ومُدَّ له في عمره، ووسع عليه في معيشته»(٤).

*** الدعاء:**

قراءة الدعاء؛ ومنه دعاء: «أعددت لكلِّ هولٍ لا إله إلا الله، ولكلِّ همٍّ وغمٍّ ما شاء الله، ولكلِّ نعمة الحمد لله، ولكلِّ رخاءٍ الشكر لله، ولكلِّ أعجوبةٍ سبحان الله، ولكلِّ ذنبٍ أستغفر الله، ولكلِّ مصيبةٍ إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولكلِّ ضيقٍ حسبيَ الله، ولكلِّ قضاءٍ وقدرٍ توكّلتُ على الله، ولكلِّ عدوٍ اعتصمت بالله، ولكلِّ طاعةٍ ومعصيةٍ لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم» عشر مرات، وهو دعاء مرويٌّ عن النبيِّ الأكرم(٥) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) الصدوق – محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي – الوفاة: ٣٨١–ثواب الأعمال – ص ١٣١

(٢) م. ن. ص ١٤١

(٣) م. ن. – ص ١٤٧

(٤) المجلسي–محمد باقر –بحار الأنوار– مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة – ج ٨٧، ص، ١٦١

(٥) م. ن. ج ٨٤ ص ٥

* الدفن في النجف الأشرف:

فمن خواصِّ هذه التربة الشريفة أنَّها تُسقط عذاب القبر وحساب منكر ونكير عَمَّن يُدْفَن فيها، فقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه كان إذا أراد الخلوة بنفسه، أتى إلى طرف الغريِّ. فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف، وإذا برجل قد أقبل من البريَّة راكباً على ناقة وقدَّامه جنازة فحين رأى علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ قصده حتّى وصل إليه وسلّم عليه، فردّ علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال له: من أين؟قال: من اليمن.

قال: وما هذه الجنازة التي معك؟ قال جنازة أبي أتيت لأدفنها في هذه الأرض.

فقال له علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: لمَ لا دفنته في أرضكم؟

قال: أوصى إليَّ بذلك، وقال: (إنّه يدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر)

فقال له علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أتعرف ذلك الرجل؟

قال: لا. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنا والله ذلك الرجل، أنا والله ذلك الرجل. قم فادفن أباك.

فقام، فدفن أباه(ومن خواصِّ ذلك الحرم الشريف أنَّ جميع المؤمنين يحشرون فيه) [1].

يضاف إلى كل ذلك أمور أخرى تراجع في الكتب المفصلة.

السؤال في القبر

إنَّ السؤال في القبر، وما يستتبع من الرحمة أو العذاب، من الأمور المسلّمة عند أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من أنكر ثلاثة أشياء، فليس من شيعتنا: المعراج، والمُساءلة في القبر، والشَّفاعة»[2].

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٧٩ ص ٦٨

(٢)م. ن. ج ٦ ص ٢٢٣

فعندما يودَعُ بدن الإنسان في القبر، يبعث الله تعالى إلى الميِّت وهو في قبره ملكين، وهما منكر ونكير، فيقعدانه ويسألانه عن ربِّه الذي كان يعبده، ودينه الذي كان يدين به، ونبيِّه الذي أُرسل إليه، وكتابه الذي كان يتلوه، وإمامه الذي كان يتولاّه،وعمره فيما أفناه، وماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، فإن أجاب بالحقِّ استقبلته الملائكة بالروح والريحان، وبشَّرته بالجنَّة والرضوان، وفسحت له في قبره مدّ البصر، وإن تلجلج لسانه وعيي عن الجواب، أو أجاب بغير الحقِّ،أو لم يدرِ ما يقول، استقبلته الملائكة بنُزلٍ من حميم وتصلية جحيم، وبشَّرته بالنَّار.

وقد أوضح الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام أصناف الناس في عالم القبر لأحد سائليه فقال: «لا يُسْأل في القبر إلاّ من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، فقلت له: فسائر الناس ؟ فقال: يلهى عنهم».

فالموتى في عالم البرزخ ثلاثة أصناف بحسب هذه الرواية:

١ـ صنف محض الإيمان، فحسنُ دينه وعمله. وهم المؤمنون الصادقون. وهذا الصنف من الناس يُسأل في قبره، وينعَّم في عالم البرزخ حتى يوم القيامة.

٢ـ صنف من الناس محض الكفر محضاً، وهذا الصنف يُسأل في قبره فيُعاقب في ذلك العالم البرزخي.

٣ـ أمّا الصنف الثالث فهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء مُرجَون إلى يوم القيامة، ولا يُسْألون في قبورهم

ما يدخل مع الإنسان في قبره ؟

يستفاد من الروايات الشريفة أنَّ الأعمال التي يرتكبها الإنسان تتجسم معه في قبره فإن كانت صالحةً كان رفيقاً صالحاً، وإن كانت طالحةً كانت رفيقاً طالحاً ، ففي الرواية أنَّ قيس بن عاصم وفد مع جماعة من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وطلب منه موعظةً نافعة ومن جملة ما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لابدّ لك يا قيس من قرينٍ يدفن معك

وهو حي، وتدفن معه وأنت ميِّت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثمَّ لا يحشر إلاّ معك ولا تبعث إلاّ معه، ولا تسأل إلاّ عنه، فلا تجعله إلاّ صالحاً، فإنّه إن صلح أنَستَ به، وإن فسد لا تستوحش إلاّ منه، وهو فعلك»(١).

ما ينفع الميِّت في قبره

إنَّه وإن غيَّب الموت الأهل والأحباب والأقارب والمؤمنين، فإنَّ التواصل لا ينقطع بالمطلق بيننا وبينهم، بل تبقى روابط الخير والبرِّ تفعل فعلها، فتزيل كرباً عنهم، وتوسع عليهم في قبورهم، كما دلت على ذلك الروايات الشريفة، ففي الخبر: كان الموتى يأتون في كل جمعة من شهر رمضان فيقفون، وينادي كلّ واحد منهم بصوت حزين باكياً: يا أهلاه! يا ولداه! ويا قرابتاه! اعطفوا علينا بشيء يرحمكم الله واذكرونا ولا تنسونا بالدعاء وارحموا علينا وعلى غربتنا، فانّا قد بقينا في سجن ضيق، وغمّ طويل وشدّة، فارحمونا، ولا تبخلوا بالدعاء والصدقة لنا لعل الله يرحمنا قبل أن تكونوا مثلنا.

فوا حسرتاه قد كنّا قادرين مثل ما أنتم قادرون.

فيا عباد الله: اسمعوا كلامنا ولا تنسونا فإنكم ستعلمون غداً فانّ الفضول التي في أيديكم كانت في أيدينا فكنّا لا ننفق في طاعة الله، ومنعنا عن الحقّ، فصار وبالاً علينا ومنفعةً لغيرنا. اعطفوا علينا بدرهم أو رغيف أو بكسرة.

ثم ينادون ما أسرع ما تبكون على أنفسكم ولا ينفعكم كما نحن نبكي ولا ينفعنا فاجتهدوا قبل أن تكونوا مثلنا »(٢).

ويلحق الميِّت في قبره ما يفعل من الخير من أقاربه، ويهدى إليه من أحبته الأحياء، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «أهدوا لموتاكم. فقلنا: يا رسول! وما هديّة الأموات؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: الصدقة والدعاء».

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٧ ص ٢٢٩

(٢) الميرزا النوري - مستدرك الوسائل - مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت - لبنان - ج ٢ ص ١٦٣



خلاصة الدرس

البــرزخ ما بين الدنيا والآخرة: قبل الحشــر من وقت المــوت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ.

التسليم بعالم البرزخ يتوقف على الإيمان بوجود الروح وبقائها حيَّةً بعد انفصالها عن البدن، ذلك لأنَّ النعيم والعذاب المتحققين في هذه المرحلة من عالم الآخرة، هما نعيم أو عذاب تتلقاهُ الروحُ حتى يومِ البعث والنشــور والمعاد الجســماني، كما استفاد علماء الإسلام ذلك من الآيات والروايات الواردة في هذا الشأن.

ما يستنتجه التأمّل في الروايات تعلّقُ الروح بأبدانٍ تماثل الأبدان الدنيوية، لكن بلطافَةٍ تناسب الحياة في تلك النَشأة

الإنسان يواجه في لحظة دخوله القبر وحتى يوم القيامة، أموراً هي كالآتي :

١ ـ وحشة القبر

٢ ـ ضغطة القبر

٣ ـ المساءلة في القبر

لكلٍّ من هذه العقبات منجيات، أشــارت لها الروايات الشريفة، وذكرت في كتب الأدعية، ويبقى شفيع المرء الأول عمله.



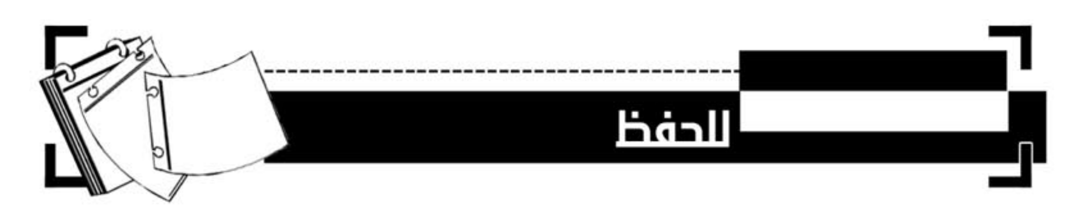
أسئلة حول الدرس

١- ما المراد بعالم البرزخ ؟

٢- ما هي ضغطة القبر ولمن تكون ؟

٣- بماذا ترفع وحشة القبر ؟

٤- الناس في المساءلة على أنواع ثلاث، فما هي ؟



رُوِيَ عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال: «عليكم بصلاة الليل، فما من عبد يقوم آخر الليل فيصلي ثمان ركعات، وركعتي الشفع، وركعة الوتر، واستغفر الله في قنوته سبعين مرّةً إلاّ أجير مِن عذاب القبر ومِن عذاب النَّار، ومُدَّ له في عمره، ووُسِّع عليه في معيشته».



يا نفس توبي فإنَّ الموت قد حانا
واعصي الهوى فالهوى ما زال فتَّانا
أما ترين المنايا كيف تلقطنا
لقطاً وتُلحق أخرانا بأولانا
في كلِّ يوم لنا مَيْتٌ نشيِّعه
نرى بمصرعه آثار موتانا
ما بالنا نتعامى عن مصائرنا
ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
نزداد حِرصاً وهذا الدهرُ يزجرنا
كأنَّ زاجرنا بالحرص أغرانا
أينَ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ومن
كانت تخرُّ له الأذقانُ إذعَانا

صـاحـت بـهـم حـادثـات الـدهـر فـانـقـلـبـوا
مـسـتـبـدلـيـن مـن الأوطـان أوطـانـا
يـا راكـضـاً فـي مـيـاديـن الـهـوى مـرحـاً
ورافـلاً فـي ثـيـابِ الـغـيِّ نـشـوانـا
مـضـى الـزمـان وولَّـى الـعـمـرُ فـي لَـعِـبٍ
يـكـفِـيـكِ مـا قَـد مـضَـى قَـدْ كـان مـا كـانـا



نقل عن أربعينات العالم الفاضل والعارف الكامل القاضي سعيد القمّي رحمه الله أنَّه قال:وصل إلينا من أحد الثقات ومحل الإعتماد، عن أستاذ أساتيذنا الشيخ بهاء الملة والدين العاملي قدس سره:

أنّه ذهب في أحد الأيّام لزيارة بعض أصحاب الحال، وكان يأوى في مقبرة من مقابر أصفهان، فقال ذلك الشيخ العارف للشيخ:

شاهدت قبل هذا اليوم في هذه المقبرة أمراً غريباً. فقد رأيت جماعة جاؤوا بجنازة ودفنوها في هذه المقبرة في الموضع الفلاني. وبعد مضي ساعة شممت رائحة طيبة لم تكن من روائح هذه النشأة، فبقيت متحيِّراً، فنظرت الى يميني وشمالي لأعرف من أين جاءت هذه الرائحة، فرأيت شاباً جميل الصورة في لباس الملوك وهو يذهب الى ذلك القبر حتّى وصل عنده، فتعجبت كثيراً مِن مجيئه الى ذلك القبر.

فعندما جلس عند ذلك القبر رأيته قد غاب وكأنّه صار داخل القبر.

فلم يمضِ زمن من تلك الحادثة حتّى شممت رائحة كريهة انتن من كلِّ رائحة،

فنظرت فرأيت كلباً يذهب بأثر الشاب حتّى وصل الى ذلك القبر واختفى.

فتعجبت لذلك!! وما كاد تعجبي ينقضي حتّى خرج ذلك الشاب بحال سيِّئة وهيئة قبيحةٍ وبدن مجروح، وقد رجع من حيث أتى.

فذهبت وراءه، ورجوته أن يخبرني بحقيقة الأمر فقال: أنا العمل الصالح لهذا الميِّت، وكنت مأموراً أن أصير معه في قبره، فإذا بذلك الكلب ـ الذي رأيته ـ أتى وهو عمله غير الصالح ؛ فأردت أن أخرجه من القبر لأفيَ بصحبته فعضني ذلك الكلب بأنيابه، وجرحني ومزق لحيتي كما ترى، ولم يتركني أبقى مع ذلك الشاب، فلم أقدر بعد ذلك أن أبقى معه في قبره، فخرجت، وتركته لوحده.

فعندما نقل العارف المكاشف هذه الحكاية للشيخ، قال الشيخ:

ما قلتَهُ صحيح ؛ فنحن قائلون بتجسُّم الأعمال وتصوُّرها بالصُّورة المناسبة بحسب الأحوال.

الدرس الرابع

النفخ في الصور

تمهيد

تحدَّث القرآن عن أول مرحلة من مراحل القيامة، وهي النفخ في الصور، هذه النفخة تصعق جميع المخلوقات، ومن ثمَّ تأتي النفخة الثانية لتجعلهم يُبعثون من جديد..

هو حدثٌ عظيمٌ، وأمرٌ جليل، كيف لا وهو مقدمةٌ وبدايةٌ ليوم القيامة، الذي يبثُّ الرعب في سائر البشر، إذ يصف الله تعالى حالهم في القرآن الكريم:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (١).

ولقد اهتمَّ القرآن الكريم، والسنَّة النَبَويَّة، ببيان أمرِ النفخ في الصور، وما يتبع ذلك من أحداث.

قال سبحانه وتعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ***

(١) الحج:٢

إن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [1]، وقال تعالى: **﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾** [2].

النفختان

ويُنفخ في الصور نفختان: النفخة الأولى، وتسمى: نفخة الصعق - الموت - وهي المذكورة في قوله تعالى: **﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾**، [3]وبسماع هذه النفخة يموت كلُّ من في السموات والأرض إلاَّ من شاء الله أن يبقيه.

وتأتي هذه الصيحة على حين غفلة من الناس وانشغال بالدنيا، كما قال تعالى: **﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾**. [4]

أمَّا النفخة الثانية، فهي نفخة البعث،وهي المذكورة في قوله تعالى: **﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾**، [5]وهي صيحةٌ توقظ الأموات ممّا هم فيه، ثم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر، وهذه النفخة هي المقصودة بقوله تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾**[6].

الفترة الزمنيَّة بين النفختين

سئل الإمام السجّاد علي بن الحسين زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن النفختين في الصور كم بينهما؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : ما شاء الله. قال السائل: فأخبرني يا ابن رسول

---

(١) يس:٥١ - ٥٤
(٢) المدثر:٨ - ١٠
(٣) الزمر: ٦٨
(٤) يس:٤٩-٥٠
(٥) الزمر: ٦٨
(٦) يس:٥١

الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: أمَّا النفخة الأولى فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه الصّور وللصّور رأس واحد وطرفان، وبين رأس كلِّ طرف منهما إلى الآخر مثل ما بين السماء والأرض، فإذا رأت الملائكة إسرافيل قد هبط إلى الدنيا ومعه الصور، قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض، وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس، وهو مستقبل الكعبة، فإذا رآه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله تعالى في موت أهل الأرض، فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطّرف الذي يلي الأرض، فلا يبقى في الأرض ذو روح إلاّ صعق ومات.، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل.، قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مُتْ، فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير، وهو قوله تعالى﴿ **يَوْمَ تَمُورُ * السَّمَآءُ مَوْراً * وَتَسِيرُ * ٱلْجِبَالُ سَيْراً** ﴾[1]، [2].

ويستفاد من آيات القرآن الكريم بشكل عام، أنَّ هناك فاصلة زمنية بين نفختي الإماتة والإحياء، وأنَّ تعبير (ثمَّ) الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾[3]، يؤكد هذا المعنى.، ولكن ورد في بعض الروايات أنَّ أمد هذه الفاصلة ما بين النفختين أربعون سنة، ولا أحد يعلم هل أنَّ هذه السنين من سنيِّ الدنيا أم من سنيِّ الآخرة التي يعادل كلُّ يوم منها خمسين ألف سنة.

مَن المقصود من الآية الكريمة (إلا من شاء الله) ؟

هناك كلام للمفسرين في هذا الصدد، قال بعضهم: إنَّ هذه العبارة هي إشارة إلى جمع من ملائكة الله الصالحين وهم (جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل).

---

(١) الطور: ٩ – ١٠

(٢) المجلسي–محمد باقر –بحار الأنوار– مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة – ج ٦ ص ٣٢٤

(٣) الزمر: ٦٨

وقـال بعض آخر: إنَّهم الشـهداء، ففي رواية أنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم سـأل جبرائيل عن هذه الآية من ذَا الذي لَمْ يَشَأ الله أن يصعقهم؟ فأجاب: «هم الشّهداء متقلّدون أسيافهم حول العرش ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ﴾ نَفْخَة أخرى ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ قائمون من قبورهم يقلّبون أبصارهم في الجواب».

وقيل: إنَّ الآية تشـمل أيضـا أضـافةً إلى الملائكة الأربعة الذين سبق ذكرهم حملـة العرش الإلهي، ومع ذلك فالنتيجة أنَّ جميع هؤلاء يذوقون الموت بحكم قوله تعالـى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَـا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١). ولم يبق إلا وجه الله الذي هو حي لا يموت﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢).

كيف يحشر الناس عند النفخة الثانية؟

تشـير الروايات إلى أنَّ الناس ما بين النفختين في الصـور يكونون على وصـف أعمالهم من حيث النعيم أو الشقاء، ويبعثون مبيضَّةً وجوههم أو مسودَّةً، بحسب ما كانوا يفعلون في الدنيا، فبعد أن يموت الناس جميعا في النفخة الأولى، يقوم الناس على هذا الحالة عند النفخة الثانية. ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد الله أن يبعـث الخلـق أمطر السـماء على الأرضـ أربعين صـباحاً، فاجتمعت الأوصـال ونبتت اللّحوم، وقـال: أتى جبرائيل رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ بيده وأخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر فصـوّت بصاحبه فقال قم بإذن الله فخرج منه رجل أبيض الرّأس واللّحية يمسح التراب عن رأسه وهو يقول الحمد لله والله أكبر فقال جبرائيـل عد بإذن الله تعالى، ثمّ انتهى بـه إلى قبر آخر فقال قم بإذن الله فخرج منه رجلٌ مسودّ الوجه وهو يقول يا حسرتاه يا ثبوراه ثمّ قال له جبرائيل: عد إلى ما كنت فيه بإذن الله عزّ وجلّ فقال: يا محمد هكذا يحشرون يوم القيامة فالمؤمنون يقولون هذا القول وهؤلاء يقولون ما ترى» (٣).

---

(١) آل عمران: ١٨٥

(٢) الرحمن: ٢٧

(٣) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة – ج٧ ص٣٩

الملك المأمور بنفخة الصور

ورد في الأحاديث الشريفة أنَّ هذا الملك هو إسرافيل.. فعن الإمام السجَّاد عليه السلام إنَّ اللّه يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صُوَر، وما كون نفخة الموت والحياة بيده، إلاَّ دليل على عظمة منزلة هذا الملك.. ويستفاد من الرواية الواردة عن الإمام السجاد عليه السلام أنَّ نفخة الموت تكون من قبل إسرافيل وبعدها يقول اللّه لإسرافيل: مت فيموت إسرافيل وتنفخ نفخة الحياة من قبل الخالق نفسه تبارك وتعالى.

كيف يؤثر الصوت في الصعق ؟

إنَّ اللّه تعالى يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة قوية تكون سبباً في هلاك جميع المخلوقات، بما فيها الكائنات التي تعيش على كواكب أخرى خارج الأرض، لأنَّ اللّه تعالى يقول: ﴿**فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ**﴾ أي أنَّ هناك مخلوقات أخرى تنتشر في الفضاء الخارجي سوف تتأثر بهذا الصوت وتُصعق.

وهناك علاقة بين الصوت والصعق، لأنَّ الصوت المرتفع جداً يملك قوة تدميرية، ويمكن أن يحرق أكثر من النار نفسها!

قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [١].

يؤكِّد الباحثون في هذا المجال أنَّ الترددات الصوتيَّة عند قوَّة معيَّنة تكون مدمِّرة، وتفتِّت أيَّ شيء تصادفه حتى الصخور!

ولذلك قال تعالى عن عذاب ثمود: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ**﴾ [٢]. وهشيم المحتظر هو المرعى اليابس والمحترق والشوك.

يقول الباحثون في هذا المجال: إنَّ أفضل طريقة لتوليد أخطر أنواع الذبذبات

---

(١) فصلت: ١٧

(٢) القمر: ٣١

الصوتية الفعالة والشديدة، هي أن نولِّد الصوت من خلال ما يشبه البوق، على شكل حلزون هوائي، وهو جهاز يشبه القرن، لأنَّ هذه الطريقة ستولِّد الموجات الصوتية ذات الترددات تحت الصوتية infrasound،والتي تعتبر الأخطر على الإنسان والحيوان والجماد.

وهذا القرن الذي وجده العلماء أكثر كفاءة لإنتاج الأصوات القاتلة، هو ما حدثنا عنه الله تعالى بقوله: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾ (١)، وأوضحته الرواية السالفة عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أسماء أخرى للنفخ في الصور

ذكر القرآن الكريم ستة تعابير مختلفة تعبِّر عن هذه الواقعة وهي:

١ - **(نفخة الصور)**

وهي ما تقدَّم الحديث عنه وما ذكرته الآيات الكريمة والروايات الشريفة بشكل مفصَّل.

٢ - **(الصيحة)**

والصيحة في الأصل بمعنى رفع الصوت، وأصله تشقيق الصوت،من قولهم إنصاح الخشب أو الثوب إذا انشقَّ فسُمع منه صوت، وصيحَ الثوبُ كذلك، ومن ثمَّ أطلقت هذه الكلمة على جميع الأصوات العالية.

٣ - **(النقر في الناقور)**

يقول أرباب اللغة: النقر في الأصل يعني طرق شيء.، والمنقار: هي وسيلة الطرق، ومن هنا يكون الطرق ملازماً للصوت، وتأتي هذه الكلمة أحياناً بمعنى إيجاد الصوت أو سببه، وهو هنا النفخ في الصور.

---

(١) الزمر: ٦٨

٤ - (الصاخَّة)

الصاخَّة: مشتقة من مادة (صخ) هو الصوت الشديد الذي ينبعث من أصحاب النطق، يقول الله تعالى: **﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾**(١).

وقال صاحب مقاييس اللغة: هي الصيحة التي تصمُّ الآذان.

٥ - (القارعة)

من مادة (قرع) على وزن (فرع) وفي الأصل بمعنى الطرق الشديد الذي ينبعث منه صوت عال ومنها (المقرعة). قال الله تعالى: **﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ ﴾**(٢).

٦ - (الزجرة)

زجرة في الأصل: الصيحة من قولك: زجر الراعي الإبل أو الغنم، إذا صاح عليها فريعت لصوته، يقول الله تعالى: **﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾**(٣).

وهذه التعابير كلُّها استخدمها القرآن الكريم للحديث عن نفخة الإماتة والإحياء، وقد يراد في بعضها النفخة الأولى، أي نفخة الإماتة، وقد يراد النفخة الثانية أو نفخة الإحياء.

النفخة مباغتة

قال تعالى: **﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾**(٤).

جاء في تفسير القمّي في قوله: **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾**(٥).

(١) عبس: ٣٣- ٣٦

(٢) الرعد: ٣١

(٣) الصافات: ١٩

(٤) يس: ٤٩ - ٥٠

(٥) يس: ٤٨ - ٤٩

قال: ذلك في آخر الزمان يصـاح فيهم صيحةً وهم في أسواقهم يتخاصمون فيموتون كلُّهم في مكانهم لا يرجع أحد منهم إلى منزله، ولا يوصـى بوصيَّة، وذلك قوله: ﴿ **فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ**﴾.



خلاصة الدرس

تحدَّث القرآن عن أول مرحلة من مراحل القيامة، وهي النفخ في الصور، هذه النفخة تصعق جميع المخلوقات، ومن ثمَّ تأتي النفخة الثانية لتجعلهم يُبعثون من جديد..

ويُنفخ في الصور نفختان: النفخة الأولى، وتسمى: نفخة الصعق - الموت -

أمَّا النفخة الثانية، فهي نفخة البعث،وهي صيحةٌ توقظ الأموات ممّا هم فيه، ثم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر.

يستفاد من آيات القرآن الكريم بشكل عام أنَّ هناك فاصلة زمنية بين نفختي الإماتة والإحياء، وأنَّ تعبير (ثم) الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ دليل على ذلك.

إنَّ الناس ما بين النفختين في الصُوْر يكونون على وصف أعمالهم من حيث النعيم أو الشقاء، ويبعثون مبيضَّة وجوههم أو مسودَّة بحسب ما كانوا يفعلون في الدنيا، فبعد أن يموت الناس جميعاً في النفخة الأولى، يقوم الناس على هذه الحالة عند النفخة الثانية.

ذكر القرآن الكريم ستة تعابير مختلفة تعبِّر عن هذه الواقعة وهي:

١ - (نفخة الصور)

٢ - (الصَّيحة)

٣ - (النَّقر في الناقور)

٤ - (الصاخَّة)

٥ - (القارعة)

٦ - (الزجرة)



أسئلة حول الدرس

١- ما هو المقصود بنفخة الصُوَر ؟

٢- ما الفرق بين النفختين ؟

٣- أذكر بعض أسماء النفخة الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم

٤- كيف يحشر الناس عند النفخة الثانية في الصور ؟



يقول الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.



أشعار الحكمة

هِيَ اللَيالي فَلا تَغتَرَّ بِالاِمَلِ
كَم سيد تَحتَ أطباقِ التُراب بَلي
يا طالِباً راحَة من دَهرِه عَبثاً
أقصِر فَما الدَهر اِلّا بِالهُمومِ ملي
كَم مَنظَر رائِق أفنَت جَمالَته
يَدُ المُنون وَأعيَتهُ عَن الحيلِ
وَكَم همام وَكَم قرم وَكَم ملك
تحت التُراب وَكَم شهم وَكَم بَطَلِ
وَكَم إمام اِلَيهِ تَنتَهي دولٌ
قَد صارَ بِالمَوتِ مَعزولاً عَن الدُوَلِ
وَكَم عَزيزٍ أذَلَّتهُ المُنون وَما
إن صَدّها عَنهُ مِن مالٍ وَلا خولِ
يا عارِفاً دَهرَه يَكفيكَ معرِفَةً
وَإن جَهَلتَ تَصاريف الزَمان سلِ
هَل في زَمانِكَ أو من قبلَه سَمعت
أُذُناكَ أنَّ ابنَ أُنثى غير مُنتَقِلِ
وَهل رَأيت أُناسا قَد علوا وَغلوا
في الفَضلِ زادوا بِما نالوا من الأجلِ

وَهـل رَعـى الـمـوت ذا عـزٍ لـعـزتـهِ
أو هـل خَـلا أحـد دَهـراً بِـلا خـلـلِ
الـمـوت بـابٌ وَكـلُّ الـنـاس داخِـلـهُ
لـكِـنَّ ذا الـفَـضـلِ مَـحـمـولٌ عَـلـى عَـجَـلِ



ما هو الصوت وتأثيره في الصعق؟

الصوت هو عبارة عن اهتزازات ميكانيكية تنتقل في الهواء على شكل موجات صوتية، وتؤثِّر على طبلة الأذن فتجعلها تهتز وتنقل هذه الذبذبات إلى الدماغ ليحلِّلها ويصدر أوامره للجسم. ويؤثِّر الصوت على الإنسان بشكل كبير، وبخاصة إذا كانت قوة الصوت عالية، ويؤدِّي إلى اضطرابات فيزيولوجية ونفسية عديدة، تظهر على نظام عمل الجسم.

إنَّ المجال الصوتي الذي نسمعه يتراوح بين ٢٠ هرتز و ٢٠٠٠٠ هرتز، والترددات التي تقل عن ٢٠ تعتبر موجات تحت صوتية infrasound، والترددات التي تزيد على ٢٠٠٠٠ تعتبر ترددات فوق صوتية ultrasound.

تقاس قوة الصوت بواحدة قياس تدعى الدسبيل dB، فعندما تصل قوة الصوت إلى ١٢٠ ديسيبل تتعرض الأذن لآلام واضحة، وعند ١٤٠ ديسبيل تنفجر طبلة الأذن، وعند ١٥٠ ديسيبل يبدأ القفص الصدري بالاهتزاز، ويتعرض الإنسان للغثيان والسعال الحاد وضيق شديد في التنفس، وعند ٢٠٠ ديسيبل تنفجر الرئتان، ثمَّ أكثر من ذلك تتأذى كلُّ أنحاء الجسم وتنتهي باضطرابات في عمل القلب والدماغ وتكون النتيجة هي الموت.

وعندما يتعرَّض الإنسـان لتردُّدات صـوتية عالية فوق سـمعية فإنَّ درجة حرارة جسـده ترتفـع، ثمَّ يبـدأ بالاحتراق، بسـبب موجات الضـغط العالية التي تسـخِّن الهواء من حوله. وعندما تكون الترددات عاليةً والصـوت شـديداً فإنَّ هذا الصوت سيولِّد فقَّاعات في الجسم، وجروح دقيقة، ويبدأ النسيج العضلي بالتمزق، ويصبح الإنسان غثاء كغثاء السيل.

والصوت يؤثر ليس على الأذن فحسب، بل إنَّه يؤثِّر على العظام والجلد وتجاويف الجسـم، وكذلك على النظام العصـبي لدى الإنسـان، ويقول العلماء إنَّ التأثيرات الحقيقية للأصوات الشديدة لا تزال مجهولة حتى الآن.

الدرس الخامس

الخروج من القبر

تمهيد

يقول سبحانه في النفخة الثانية وهي نفخة الإحياء ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [1].

إنَّ ساعة خروج الإنسان من القبر هي إحدى الساعات الثلاثة التي اعبرتها الروايات الشريفة من أصعب وأوحش الساعات على أبناء آدم، فقد جاء في الرواية عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «إنَّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا. ويوم يموت فيرى الآخرة وأهلها ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا وقد سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى في هذه الثلاثة المواطن، وآمن روعته فقال: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ

(١) يس: ٥١-٥٢

وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾(١)، وقد سلَّم عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ على نفسه في هذه المواطن الثلاثة فقال: ﴿ **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾.(٢) (٣) «ورُوِيَ عن الإمام علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ «أشدّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فإمَّا إلى الجنّة وإمَّا إلى النار»(٤).

الفرق بين الحشر والنشر

الحشر لغة: إخراج الجماعة عن مقرِّهم، وإزعاجهم، وسوقهم إلى الحرب، ونحوها.

ثم خصَّ في عرف الشرع عند الإطلاق بإخراج الموتى من قبورهم، وسوقهم إلى الموقف للحساب والجزاء، والنشر إحياء الميِّت بعد موته، ومنه قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ** ﴾(٥) أي أحياه.

وفي الدعاء: «وارحمني في حشري ونشري»(٦).

وعند النشر تعود الأرواح إلى أجسادها، وبعد أن تنبت الأجساد يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، فتعود الأرواح إلى أجسادها، تدخل كلُّ روح في جسدها، فيقوم الناس فينفضون التراب عن رؤوسهم.

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ**﴾(٧).

---

(١) مريم: ١٥

(٢) مريم: ٣٣

(٣) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٦ ص ١٥٨

(٤)م . ن .ج ٦ ص ١٥٩

(٥) عبس: ٢٢

(٦) الصحيفة السجَّادية الكاملة: ٢٢٦

(٧) التغابن: ٧

من يحشر؟

يحشر الله الخلق جميعاً، ولا يتخلف أحد، قال سبحانه وتعالى: **﴿إن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا* وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا* إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** [١].

فلا يتخلف مخلوق، فلقد أحصى الله الخلق من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه القيامة، فهم ينطلقون جميعاً وراء هذا الداعي الكريم الذي جاء ليقود الخلق جميعاً إلى المحشر.

الأزواج الثلاثة:

الناس يومئذ على ثلاثة أقسام:

يقول سبحانه: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[٢].

أطلق عليها لفظ أزواج لكون أصناف الناس في القيامة والحشر والنشر متقارنة مع بعضها

وحول القسم الأوّل يحدّثنا القرآن الكريم بقوله: **﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾**[٣]. والمقصود من أصحاب الميمنة هم الأشخاص الذين يعطون صحيفة أعمالهم بأيديهم اليمنى، أو أنَّ كلمة ﴿ميمنة﴾ من مادّة (يمن) التي أخذت من معنى السعادة، وعلى هذا التّفسير فإنَّ القسم الأوّل هم طائفة السعداء وأهل الحبور والسرور.

أمَّا المجموعة الثانية فهم أصحاب المشأمة، قال تعالى: **﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**

---

(١) مريم: ٩٣-٩٥

(٢) الواقعة: ٧

(٣) الواقعة: ٨

مَـا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[١]، حيث الشـؤم والتعاسـة، واسـتلام صـحائف أعمالهم بأيديهم اليسرى التي هي رمز سوء عاقبتهم وعظيم جرمهم وجنايتهم.

أمَّا المجموعة الثالثة فقد أشـار إليها بقوله سبحانه: **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾** [٢].

(السابقون) ليسـوا الذين سبقوا غيرهم بالإيمان فحسب، بل في أعمال الخير والأخـلاق والإخلاص، فهم أسـوة وقدوة وقـادة للناس.وهذه الكلمة (السـابقون) تشمل جميع هذه الأعمال، والطاعات وغيرها.

وجاء في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من السابقون إلى ظلِّ الله في يوم القيامة؟ فقال أصحابه: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «الذين إذا أعطوا الحقَّ قبلوه، وإذا سألوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم»[٣].

وجاء في بعض الرّوايات أيضاً أنّ المقصود بـ (السابقون) هم الأنبياء المرسلون وغير المرسلين.

وعن ابن عبّاس أنَّه قال: «سألت رسول الله ﷺ حول هذه الآية فقال: «هكذا أخبرني جبرائيل، ذلك عليٌّ وشيعته، هم السابقون إلى الجنّة، المقرّبون من الله لكرامته لهم»[٤].

أحوال الناس يوم الحشر

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«وذلـك يومٌ يَجمَعُ الله فيـه الأوّلين والآخرين لنقاش الحِسـاب وَجزاءِ الأعمال خُضُـوعاً قيامـاً قد ألجَمَهُـمُ العَرَقُ وَرَجَفَـت بِهِمَ الأرض فأحسـنهم حالاً من وجَدَ لِقَدَميهِ مَوضِعاً وَلِنَفسِهِ مَتَّسعاً»[٥].

(١) الواقعة: ٩

(٢) الواقعة: ١٠ - ١٢

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٧ ص ٤٤٩

(٤) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٢٤ ص ٤

(٥) نهج البلاغة: ج ١، ص ١٩٦

عن الإمام الصادق عليه السلام: «مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لربِّ العالمين مثل السهم في القِربَ ليس له من الأرض إلاّ موضع قدمه كالسهم في الكنانة لا يقدر أن يزول هاهنا ولا هاهنا»[١].

فكما أنَّه في موضع السهم في الكنانة لا يوجد مجالٌ ليتحرك في كنانته لضيقها، فكذلك ضيق الإنسان في ذلك اليوم فلا يستطيع أن يتحرك عن موضع قدمه فليست لديه القدرة على ذلك.

في أحوال بعض الخارجين من القبور

أشارت الروايات الشريفة إلى أصناف من الناس لهم حالات خاصة عند الخروج من القبور للحشر، وذلك نتيجة أعمال ارتكبوها في الدنيا، ومن هؤلاء:

الشاكُّ في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام:

فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الشاك في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام يحشر يوم القيامة من قبره وفي عنقه طوق من نار فيه ثلاثمائة شعبة، على كل شعبة منها شيطان يكلح في وجهه ويتفل فيه»[٢].

مانعو حقِّ الله:

عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى يبعث يوم القيامة ناساً مِن قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا قيد أنملة، معهم ملائكة يعيرونهم تعييراً شديداً يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً مِن خير كثير. هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حقّ الله في أموالهم»[٣].

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٧ ص ١١١

(٢) م. ن. ج ٧ ص ١٩٢

(٣) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ٣ ص ٥٠٦

النمّامون:

فقد روى الشيخ الصدوق في حديث طويل عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «ومَن مشى في نميمة بين اثنين سلَّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة، وإذا خرج مِن قبره سلَّط الله عليه تنيناً أسود ينهش لحمه حتّى يدخل النار...»[١].

شارب الخمر:

في الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «إنَّ شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه، مزرقةً عيناه، مائلاً شدقاه، سائلاً لعابه، دالعاً لسانه من قفاه»[٢].

ذو الوجهين واللسانين:

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال:«يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه، وآخر من قدَّامه يلتهبان ناراً حتّى يلهبا جسده ثمَّ يقال له: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين ولسانين يعرف بذلك يوم القيامة»[٣].

مما يهوِّن هول المحشر

وكما في كلِّ موقف من مواقف القيامة والبرزخ ما يهوِّنه، فإنَّ للمحشر وهوله ما يهوِّنه أيضاً حيث دلتنا الروايات على أعمالٍ مهمَّة نافعة منها:

١- تشييع الجنائز:

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من شيَّع جنازة مؤمن حتى يدفن في قبره وكل الله تعالى به سبعين ملكاً من المشيِّعين يشيِّعونه ويستغفرون له إذا خرج من قبره إلى الموقف»[٤].

٢ - تنفيس كربة مؤمن وإدخال السرور على قلبه:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال

---

(١) الحر العاملي - محمد بن الحسن - وسائل الشيعة - دار إحياء التراث - بيروت - ج ١٢ ص ٣٠٨

(٢) م. ن. ج ٢٥ ص ٣١٢

(٣) م. ن. ج ١٢ ص ٢٥٨

(٤) م. ن. ج ٣ ص ١٤٥

يقدمه أمامه، كلّما رأى المؤمن هولاً مِن أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع، ولا تحزن، وأبشر بالسرور والكرامة من الله عزّ وجلَّ، حتّى يقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ فيحاسبه حساباً يسيراً، ويأمر به إلى الجنّة والمثال أمامه. فيقول له المؤمن يرحمك الله نِعْم الخارج خرجت معي من قبري مازلت تبشرني بالسرور والكرامة من الله حتّى رأيت ذلك. فيقول مَن أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلتَه إلى أخيك المؤمن في الدنيا خلقني الله عزَّ وجلَّ منه لأبشرك»[1].

٣- كسوة المؤمن:

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

«مَن كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنّة وأن يهوِّن عليه سكرات الموت، وأن يوسع عليه في قبره وأن يلقى الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى وهو قول الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿**وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون**﴾».

٤- الدعاء في شهر رمضان المبارك:

عن الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام عن أبيه عن جده عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «...ومن دعا بنيَّة خالصة في أول شهر رمضان رزقه الله تعالى ليلة القدر وخلق له سبعين ألف ملك يسبّحون الله ويقدسونه وجعل ثوابهم له، وبعث الله له عند خروجه من قبره سبعين ألف ملك مع كل ملك نجيب من نور بطنه من اللؤلؤ وظهره من الزبرجد وقوائمه من الياقوت.... »[2].

صفة أرض المحشر

ترى كيف تكون هيئة أرض المحشر؟!!

قال رحمان الدنيا والآخرة: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [3].

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٧ ص ١٩٧

(٢) م.ن. ج ٩١ ص ٣٨٣

(٣) إبراهيم: ٤٨

وفي الكافي بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: سأله أبرش الكلبيّ عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ** ﴾ قال عليه السلام: «تبدَّل خبزة نقيَّة يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب. فقال الأبرش: فقلت: إنَّ الناس يومئذ لفي شغل من الأكل فقال أبو جعفر عليه السلام: فهم في النَّار لا يشتغلون عن أكل الضريع، وشرب الحميم، وهم في عذاب، فكيف يشتغلون عنه في الحساب؟!»[1].



خلاصة الدرس

إنَّ ساعة خروج الإنسان من القبر هي إحدى الساعات الثلاثة التي اعتبرتها الروايات الشريفة من أصعب وأوحش الساعات على أبناء آدم.

الحشر إخراج الموتى عن قبورهم، وسوقهم إلى الموقف للحساب والجزاء، والنشر إحياء الميت بعد موته.

الناس يومئذ على ثلاثة أقسام:

أصحاب الميمنة، أصحاب المشأمة، السابقون.

أشارت الروايات الشريفة إلى أصناف من الناس لهم حالات خاصة عند الخروج من القبور للحشر، وذلك نتيجة أعمال ارتكبوها في الدنيا، ومن هؤلاء:

الشاكُّ في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام

مانعو حقِّ الله

النمَّامون

شارب الخمر

ذو الوجهين واللسانين

(١) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ٦ ص ٢٨٦

وكما في كل موقف من مواقف القيامة والبرزخ ما يهوِّنه، فإنَّ للمحشر وهوله ما يهوِّنه أيضاً، حيث دلَّتنا الروايات على أعمالٍ مهمة نافعة منها

تشييع الجنائز

تنفيس كربة مؤمن وإدخال السرور على قلبه

كسوة المؤمن

الدعاء في شهر رمضان المبارك



١- ما الفرق بين الحشر والنشر ؟

٢- أشارت الروايات لأصناف من الناس لهم حالات خاصة عند الخروج للحشر أذكر بعضاً منهم.

٣- أذكر بعضاً مما يهوِّن أهوال المحشر .

٤- كيف تكون هيئة أرض المحشر؟



قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾.



أشعار الحكمة

باتوا على قللِ الأجبال تحرسُهم
غُلْبُ الرجالِ فما أغنتهمُ القُللُ
و استنزلوا بعد عزّ من معاقلهم
وأودعوا حفراً يابئس ما نزلوا
ناداهمُ صارخ من بعد ما قبروا
أين الأسرة و التيجانُ و الحللُ
أين الوجوه التي كانتْ منعمةً
من دونها تُضربُ الأستارُ والكللُ
فأفصحَ القبرُ حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدودُ يقتتلُ
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا
فأصبحوا بعد طول الأكلِ قد أكلوا
و طالما عمّروا دوراً لتُحصنهم
ففارقوا الدورَ و الأهلين وارتحلوا
و طالما كنزوا الأموال و ادّخروا
فخلّفوها على الأعداء و انتقلوا
أضحت منازلُهم قفراً معطلةً
وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
فكيف يرجو دوامَ العيش متصلاً
من روحه بجبال الموتِ تتصلُ



ما يصيب الناس في المحشر

حدث ثوير بن فاضة قال سمعت علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلامُ يقول: إذا كان يوم القيامة بعث الله الناس من حفر، عزلاً، مهلاً، جرداً مرداً، في صعيدٍ واحد يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة، حتى يقفوا على عقبة المحشر، فيركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون دونها، فيمنعون من المضي، فتشتدُّ أنفاسهم، ويكثر عرقهم، وتضيق بهم أمورهم، ويشتدُّ ضجيجهم، وترتفع أصواتهم، وهو أول هول من أهوال القيامة.

فعندما يشرف الجبار تبارك وتعالى من فوق العرش ويقول: يا معشر الخلائق أنصتوا واسمعوا منادي الجبار.

فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم، فتخشع قلوبهم، وتضطرب فرائصهم، ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت. ﴿ **مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ** ﴾[١].

فيأتي النداء من قبل الجبار: أنا الله لا إله إلا أنا الحَكَم الذي لا يجور أحكم اليوم بينكم بعدلي وقسطي، لا يظلم اليوم عندي أحد، آخذ للضعيف من القوي، ولصاحب المظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات، وأثيب عليها، وآخذ له بها عند الحساب، فتلازموا أيُّها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا وأنا شاهدكم عليها وكفى بي شهيداً.

فيتعافون فلا يبقى أحد له مظلمة عند أحدٍ أو حقٍّ إلاَّ لزمه، فيمكثون ما شاء

(١) القمر: ٨

اللّه فيشـتدُّ حالهم، ويكثر عرقهم، وترتفع أصواتهم، ويتمنون المخلص منه بترك مظالمهـم لأهلها، فيأتـي النِّداء من قبل الجبَّار جلَّ جلاله: أيُّها الخلائق أنصـتوا لداعي اللّه واسمعوا، إنَّ اللّه يقول: أنا الوهَّاب، أجبتم تواهبتهم وإلاّ أخذت بظالمكم فيفرحون لذلك من شـدة جهدهم وضـيق مسلكهم فيهب بعضـهم مظلمته لبعض رجاء الخلاص مما هم فيه ويبقى بعضهم يقولون مظالمنا أعظم من أن نهبها.

فعندهـا يأمرهم جلَّ شـأنه أن يرفعوا رؤوسـهم وينظروا إلـى كرامة اللّه تعالى فإذا رأوا ذلك القصر تمنى كلٌّ منهم أن يكون له فيأتي النداء هذا لكل من عفا عن مؤمن، فعندها يعفون إلا القليل.

فقال رجل للإمام عليه السلام : إذا كان للمؤمن على الكافر حق فأيّ شيء يأخذ منه وهو من أهل النار؟

قـال عليه السلام : يطرح عن المسـلم من سـيئاته بقدر مـا له على الكافـر، ويعذب الكافر بها مع عذابه.

فقال الرجل: وإن كان للمسلم على المسلم مظلمة فما يؤخذ منه؟

قال عليه السلام :يؤخذ من حسنات الظالم وتعطى للمظلوم بقدر ما له عليه...

قال الرجل: وإن لم يكن للظالم حسنات فما يؤخذ منه؟

قال عليه السلام : إن كان للمظلوم سـيئات تزاد على سـيئات الظالم بقدر ما له من الحق.

الدرس السادس

صحائف الأعمال

تمهيد:

نَشر الصحف هو أحد الحوادث المهمَّة التي تحدث في يوم القيامة، وفيه تتطاير الكتب،وَتَطَايُرُ الكتبِ يعني: فتح صحائف الأعمال ونشرها، فحينها ينشغل فيها الإنسان عن أهله وأقاربه وأحبابه وأصدقائه، يقول الله تعالى:﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ (1).

ويخبر الله تعالى في القرآن الكريم عن تطاير الصحف ونشرها بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾ (2).

وقوله تعالى:﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا**﴾ (3).

---

(١) عبس: ٣٤ - ٣٧

(٢) التكوير: ١٠

(٣) الانشقاق: ٧.١٢

وقال تعالى: ﴿ **وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾ (١).

وقد ورد في تفسير الآيتين :

﴿**وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ...** ﴾ (٢)؛ مَعْنَاهُ: وَأَلْزَمْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ عَمَلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فِي عُنُقِهِ كَالطَّوْقِ لاَ يُفَارِقُهُ؛ وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْعَمَلِ: طَائِرٌ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ: جَرَى طَائِرُهُ بِكَذَا. مجمع البيان

موقف نشر الكتب في الروايات

جاءت الروايات بمشاهد تفصيلية تُصَوِّر ما يجري عند نشر صحائف الأعمال، وما يكون من حوار بين العبد المنشور صحيفته وربِّه، ومن هذه الروايات ما رواه عليٌّ بن أبي حمزة سالم البطائني قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول:

«إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يحاسب المؤمن أعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه، فيقول: عبدي فعلتَ كذا وكذا، وعملتَ كذا وكذا؟

فيقول: نعم يا ربِّ قد فعلتُ ذلك.

فيقول: قد غفرتُها لك، وأبدلتُها حسنات.

فيقول الناس: سبحان الله، أما كان لهذا العبد سيِّئةٌ واحدة؟!!

وهو قول الله عزّ وجلّ:

﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا** ﴾ (٣).

قلت: أيّ أهل؟، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : أهله في الدنيا هم أهله في الجنة إن كانوا مؤمنين.

---

(١) الإسراء: ١٣ – ١٤

(٢) الإسراء: ١٣

(٣) الانشقاق: ٧ – ٩

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: وإذا أراد بعبد شراً حاسبه على رؤوس الناس وبكته[1]، وأعطاه كتابه بشماله. وهو قول الله عزّ وجلّ:

﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا** ﴾[2].

قلت: أيّ أهل؟، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أهله في الدنيا.

قلت قوله: ﴿**إنّه ظنَّ أن لن يحور**﴾، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ظنَّ أنّه لن يرجع»[3].

صفة صحيفة الأعمال

للمتأمل في ما ورد من الروايات والآيات القرآنية الكريمة أن يلاحظ عدة صفات أساسية لهذه الصحف التي ستنشر منها:

١ - الدقة في الإحصاء

وهذا الكتاب الذي يتلقاه الإنسان كتاب دقيق، وفيه إحصاءٌ شامل متكامل لكلِّ ما صدر عنه، قال تعالى ﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ** ﴾[4].

وسبب الدقّة في التدوين، هو أنَّ الله تعالى قد أوكل ملائكة تحصي على الناس جميع الأعمال الظاهريّة والباطنيّة، فعن أمير المؤمنين ومولى الموحدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعاء كميل بن زياد: «وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثْبَاتِهَا الكِرَامَ الكَاتِبِينَ الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ مَا يَكُونُ مِنِّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوَارِحِي»[5].

و ليس هذا فحسب، بل إنَّ الله تعالى هو الرقيب من ورائهم.

«وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ».

ويقول الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ**

(١) غلبه بالحجة

(٢) الانشقاق: ١٠ - ١٣

(٣) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٧ ص ٣٢٥

(٤) القمر: ٥٢ - ٥٣

(٥) القمي - عباس - مفاتيح الجنان.

وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١]، فهو الذي لا يشغله شيء عن شيء، ويسمع الأنين والشكوى ويعلم السرَّ وأخفى.

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ونستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه، علم غير قاصر وكتاب غير مغادر»[٢].

٢ - الحجة القاطعة

إنَّ حجة الكتاب قاطعة، بحيث لا يرتاب فيها قارئه، ولو كان هو المجرم نفسه، وكيف لا وفيه معاينة نفس العمل وبه الجزاء، قال تعالى:

﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣].

٣ – شموله للحسنات وللسيئات

تدوَّن في الكتاب كلُّ أعمال الإنسان، سواء كانت حسنة أم قبيحة، فليس الكتاب إلا مجرد إحصاء لأعمال الإنسان كما قال تعالى: **﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٤].

فالذي بنى مسجداً سيدوَّن في كتابه بناء مسجد، وتسجَّل له الحسنات طالما هناك من يصلي في المسجد، وكذلك هو حال من يدون كتاباً، أو يشيّد جسراً لعبور الناس، وهذا ما يعبَّر عنه بالصدقات الجارية، وقد جاء في الرواية عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ عَنْ ثَلاثٍ، وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَصَدَقَةٌ جَارِيَةٌ»[٥].

و تدوَّن في صحيفة العمل أعمال كثيرة لم يقم بها بنفسه، وهي الأعمال التي يقوم بها الناس إثر ترغيبه إيّاهم في القيام بها.

(١) المجادلة: ٦

(٢) نهج البلاغة: خطبة ١١٤.

(٣) التحريم: ٧

(٤) الجاثية: ٢٩

(٥) النمازي - علي - مستدرك سفينة البحار - مؤسسة النشر الإسلامي- ج ٩ ص ٤٦٩

عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام في تفسير الآية الشريفة: ﴿ **يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ** ﴾ (١)، قال عليه السلام: «بِمَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَمَا أَخَّرَ فِيمَا سَنَّ مِنْ سُنَّةٍ لِيُسْتَنَّ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنْ كَانَ شَرّاً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ وِزْرِهِمْ شَيْئاً، وَإِنْ كَانَ خَيْراً كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ وَلاَ يُنْقِصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً» (٢).

كيف يرى الإنسان عمله؟

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «إذا كان يوم القيامة دُفع إلى الإنسان كتابه، ثمّ قيل له: اقرأه. قيل: فيعرف ما فيه؟، فقال عليه السلام: إنّه يذكره، فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلا ذكره، كأنَّه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا: ﴿**يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾ (٣)» (٤).

أخذ الكتب باليمين أو بالشمال

أشار القرآن الكريم إلى أنَّ الناس يأخذون كتبهم التي هي صحائف أعمالهم يوم القيامة، فبين آخذ كتابه باليمين، وآخذ كتابه بالشمال من وراء ظهره.

قال الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ**﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**

---

(١) القيامة: ١٣

(٢) القمي - علي بن إبراهيم - تفسير القمي - منشورات مكتبة الهدى- ج ٢ ص ٣٩٧

(٣) الكهف: ٤٩

(٤) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٧ ص ٣١٥

(٥) الحاقة:١٩- ٣٣

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [1].

فإذا أخذ الإنسان كتابه بيمينه، فإنَّه يكون من الفالحين، وفي هذه اللحظة يبلغ أعلى درجات السعادة، وكأنَّه يريد أن يعلم كلُّ الحاضرين في الموقف بهذا الفوز، ويصف لنا القرآن الكريم هذه الحالة: **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾** [2].

وأما من يأخذه بشماله فهو من الخاسرين، ويكون في هذه اللحظة أسوء لحظة يمر بها، ويتمنى أن لا يعطَ الكتاب ليصاب بهذا الخزي الكبير، يقول تعالى في محكم آياته واصفاً حالته: **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾** [3].

وبما أنَّ اليمين تعني في العربيّة التفاؤل بأُمور الخير والسعادة والعافية والرحمة والبركة، وأنَّ الشمال تعني التشاؤم بالمصائب والذلِّ والهوان، فقد كُنِّي عن السعادة والشقاء بجهتَي اليمين والشمال، فصارت كتبهم تصلهم من جهة السعادة والرحمة والعافية والسلامة، أو من جهة الشقاء والذلِّ والنكبة.

وقد اعتبرت طائفة كبيرة من المحدِّثين والمفسِّرين اليمين والشمال في هذه الآيات بمعنى اليد اليمنى واليد اليسري، وقالوا بأنَّ المراد هو أنَّ أهل الجنّة يُعطون كتبهم في أيمانهم، وأهل النَّار يُعطَون كتبهم في شمائلهم.

---

(١) الانشقاق: ٧- ١٤

(٢) الحاقة:١٩ - ٢٢

(٣) الحاقّة: ٢٥ - ٢٩

أخذ الكتب وراء الظهر

قال تعالى مبينا ذلك ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾(١).

فـإنَّ المجرميـن عندما يُعطَـوْن كتبهم بشـمائلهم، فإنَّهم ولشـدة حيائهم من أنفسـهم وممـا في هـذه الكتب من قبيح الأعمـال، يجعلون أيديهـم وراء ظهورهم حتى تقلَّ رؤية الجمع لهذا السـند، سـند الجريمة والفضيحة، أو لأنَّ أيدي الشمال مغلولـة وراء ظهورهم فكما أنَّهم جعلوا كتاب اللّه وراء ظهورهم في الحياة الدنيا فهنا تجعل كتب أعمالهم وراء ظهورهم...

كتب في علِّيين وأخرى في سجِّين

ذكرت الآيات في سـورة المطففين كتاب أعمال الفجار: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾(٢).

وبعد عدة آيات من نفس السورة ذكرت كتاب أعمال الأبرار: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾(٣).

والمقصـود بـ سِـجِّين: كتـاب جامع تجمـع فيه كتب أعمـال جميـعِ الفجَّار، فـإنَّ هذا الكتاب كمثل السـجلِّ العام الذي يسـجَّل فيه حسـاب جميـع الدائنين والمدينيـن.

أمـا (عِلِّيين) فبحسـب قول بعض المفسِّـرين إنَّ المراد بعليِّيـن أعلى أماكن الجنة أو أعلى مكان في السـماء، والمعنى أنَّ عليِّين كذلك يعني: السـجل الكبير الـذي تجمـع فيه كتـب أعمال الأبـرار والصَّـالحين وهو سـجل عالـي المرتبة والمقـام.

---

(١) الإنشقاق: ١٠ - ١٣

(٢) المطففين:٧ - ٩

(٣) المطففين:١٨ - ٢١

هو موقف لا يذكر فيه أحدٌ أحداً

فهو موقف لشدَّة وقعه على النفوس، وما يصاب به المرء من الإنشغال بنفسه وعمله، وما سيئول إليه أمره، ينسى كلَّ من كان يهتمُّ لأمره في الدنيا، جاء في النبوي: «أمَّا في ثلاثة مواطن فلا يذكرُ أحدٌ أحداً: عند الميزان، حتى يعلم أيخفُّ ميزانه أم يثقل؟، وعند الكتاب حين يقال: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾ [1]، حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم، حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثيرة، يحبس الله بها من يشاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا»[2].

حبّ أهل البيت عليهم السلام نافع في ذلك الموقف

وحبُّ أهل البيت عليهم السلام يظهر أثره في الآخرة في مواطن الخوف والفزع الأكبر، ففي الرواية عن جابر عن الرسول المصطفى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «من رزقه اللّه، حبَّ الأئمة من أهل بيتي، فقد أصاب خير الدنيا والآخرة.. فلا يشكّنَّ أحدٌ أنَّه في الجنة، فإنَّ في حبِّ أهل بيتي، عشرين خصلة: عشرٌ منها في الدنيا، وعشرٌ في الآخرة، أما التي في الدنيا فالزهد، والحرص على العمل، والورع في الدين، والرغبة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشاط في قيام الليل، واليأس مما في أيدي الناس، والحفظ لأمر اللّه ونهيه عزَّ وجلَّ، والتاسعة بغض الدنيا، والعاشرة السخاء، وأمَّا في الآخرة: فلا يُنشر له ديوان، ولا يُنصب له ميزان، ويُعطى كتابه بيمينه، ويُكتب له براءة من النار، ويبيض وجهه، ويُكسى من حلل الجنة، ويشفع في مائةٍ من أهل بيته، وينظر اللّه عزّ وجلّ إليه بالرَّحمة، ويُتوَّج من تيجان الجنة، والعاشرة يدخل الجنَّة بغير حساب، فطوبى لمحبِّ أهل بيتي»[3].

---

(١) الحاقة: ١٩

(٢) المتقي الهندي - كنز العمال - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ج ١٤ ص ٣٨٢

(٣) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٢٧ ص ١٦٣

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «مَن زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثِ مواطن حتّى أخلّصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان»[١].

كتاب للأمم أيضاً

وفي يوم القيامة تُنشَر صحف الأعمال، فيخرج الله سبحانه لكلّ أُمّة كتاباً ينطق بجميع أقوالهم وحقائق أفعالهم، قال تعالى: ﴿**وَتَرَى كُلَّ أُمَّة جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّة تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢].



خلاصة الدرس

نَشـرُ الصـحف هو أحد الحوادث المهمَّة التي تحدث في يوم القيامة، وفيه تتطاير الكتب، وتَطَايُرُ الكتب يعني: فتح صـحائف الأعمال ونشـرها، فحينها ينشـغل فيها الإنسان عن أهله وأقاربه وأحبابه وأصدقائه.

لهذه الصحف التي ستنشر ميِّزات، منها:

١ - الدقة في الإحصاء

٢ - الحجَّة القاطعة

٣ - شمولها للحسنات وللسيئات

أشـار القرآن الكريم إلى أنَّ الناس يأخذون كتبهم التي هي صـحائف أعمالهم

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٩٩ ص ٣٤

(٢) الجاثية: ٢٨ ـ ٢٩

يوم القيامة، فبين آخذ كتابه باليمين، وآخذ كتابه بالشمال من وراء ظهره.

حبُّ أهل البيت عليهم السلام يظهر أثره في الآخرة في مواطن الخوف والفزع الأكبر وفي يوم القيامة تُنشَر صحف الأعمال، فيخرج الله سبحانه لكلّ أُمّةٍ كتاباً ينطق بجميع أقوالهم وحقائق أفعالهم.

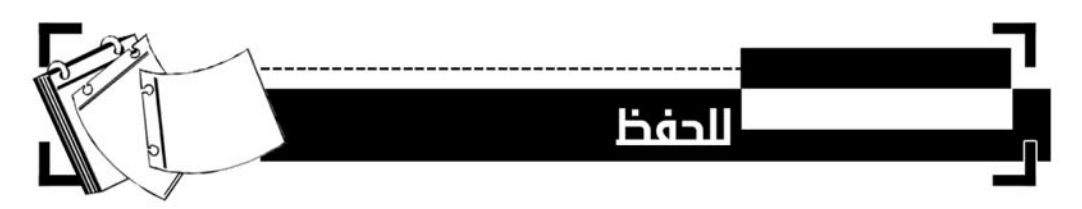


١- ماذا يعني نشر الصحف ؟

٢- ما المراد من سجِّين وعلِّيين ؟

٣- ما هي مميزات صحيفة الأعمال ؟

٤- ما هو المراد من كتاب أعمال الأمم ؟



﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.



ليس الغريب غريب الشام واليمن
إنَّ الغريب غريب اللحد والكفنِ
سفري بعيدٌ وزادي لن يبلغنّي
وقوَّتي ضعفت والموت يطلبني
ولي بقايا ذنوبٍ لست أعرفها
الله يعلمها في السر والعلنِ
ما أحلمَ الله عني حيثُ أمهلني
وقد تماديتُ في ذنبي ويسترني
تمرُّ ساعات أيامي بلا ندمٍ
ولا بكاءٍ ولا خوفٍ ولا حزنِ
أنا الذي يغلقُ الأبوابَ مجتهداً
على المعاصي وعينُ الله تنظرني
دعني أنوحُ على نفسي وأندبُها
وأقطع الدهر بالتفكيرِ والحزن
كأنني بين تلك الأهل منطرحٌ
على الفراش وأيديهم تقلّبنِي
واستخرج الروح مني في تغرغُرها
وصار ريقي مريراً حين غرغَرني
واشتدَّ نزعي وصارَ الموتُ يجذبها
من كل عرقٍ بلا رفق ولا هونِ

وسـل روحـي وظـل الـجـسـم منـطـرحاً
بيـن الأهـالـي وأيـديـهـم تقلبني
وأضـجـعـوني عـلـى الألـواحِ منـطـرحاً
وقـام فـي الـحـال منـهـم مـن يغسّلني
وألـبـسـونـي ثـيـابـاً لا كـمـام لها
وصـار زادي حـنـوطـاً حـيـن حنطني
وحـمـلـونـي عـلـى الأكـتـافِ أربـعـة
مـن الـرجـال وخـلـفـي مـن يشيعني
وقـدمّـونـي إلـى الـمـحـرابِ وانـصـرفـوا
خـلـف الإمـام وصـلّى ثـمَّ ودّعـنـي
صـلّوا عـلـيّ صـلاةً لا ركـوع لها
ولا سـجـوداً لـعـل الـلـه يـرحـمـنـي
وأنـزلـونـي إلـى قـبـري عـلـى مـهلٍ
وقـدّمـوا واحـداً مـنـهـم يـلحّدني
وهـالـنـي إذ رأت عـيـنـاي إذ نـظـرت
مـن هـول مـطـلّـع إذ كـان أغـفـلـنـي



(كان عليٌّ بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا أذنب العبد والأَمَة يكتب عنده: أذنَبَ فُلانٌ، أذنَبَت فلانـة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه، فيجتمع عليهم الأدب، حتّى إذا كان آخر ليلة من شـهر رمضـان دعاهم وجمعهم حوله، ثمَّ أظهر الكتاب، ثمَّ قال يا فلان فعلت كذا وكذا، ولم أُؤدّبك أتذكر ذلك؟

فيقول: بلى يا بن رسول الله.

حتّى يأتي على آخرهم...

ثمّ يقوم وسطهم، ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم، وقولوا: يا عليُّ بن الحسين إنَّ ربَّك قد أحصى عليك كلَّ ما عملت، كما أحصيت علينا كلَّ ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحقّ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً مما أتيت إلاَّ أحصاها، وتجد كلما عملتَ لديه حاضراً، كما وجدنا كلما عملنا لديك حاضراً، فاعفُ عنَّا تجده عفوّاً، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربُّك أحداً، كما لديك كتاب ينطق علينا بالحقّ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة مما أتيناها إلاّ أحصاها، فاذكر يا عليُّ بن الحسين ذُلَّ مقامك بين يَدي ربّك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبّةٍ من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعفُ واصفَح يعفُ عنك المليك ويصفح، فإنّه يقول: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1].

قال: وهو ينادي بذلك على نفسه، ويلقّنهم، وهم ينادون معه، وهو واقفٌ بينهم يبكي وينوح ويقول: ربّ إنَّك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا، فنحن قد عفونا عمّن ظلمنا كما أمرت، فاعف عنَّا فإنّك أولى بذلك منَّا ومن المأمورين، وأمرتنا أنْ لا نَرُدّ سائِلاً عن أبوابنا وقد أتيناك سؤّالاً ومساكين، وقد أنخنا بفنائك وببَابك نَطلُب نَائلك ومعرُوفَك وعطاءَك فامنن بذلك علينا ولا تخيِّبنَا، فإنَّك أولى بذلك مِنَّا ومِنَ المأمورين،إلهي كرمتُ فأكرمني إذ كنت من سؤّالك، وجُدتُ بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم.

ثمّ يقبل عليهم، فيقول: قد عفوتُ عنكم، فهل عفوتم عني، ومما كان مني إليكم من سوء ملكة، فإنني مليك سوء لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل؟

فيقول: قد عفونا عنك يا سيدنا، وما أسأت.

فيقول لهم: قولوا: اللهمّ اعف عن عليِّ بن الحسين كما عفا عنَّا، واعتقه من النار كما اعتق رقابنا من الرق....

---

(١) النور: ٢٢

الدرس السابع

الميزان

تمهيد:

سنتحدث في هذا الدرس عن الميزان في اللغة والاصطلاح، وأدلَّة إثبات الميزان من كتاب الله تعالى، والروايات الشـريفة، وصفة الميزان، وما يوزن فيه، والردُّ على مـن ينكره، ومرجِّحات الميزان، ومتى تنصـب الموازين؟، ولمن تنصـب ؟ وكيفية الوزن.

هذه الأسئلة سنحاول أن نسلِّط الضوء عليها، سائلين الله تعالى أن يجعلنا ممن ثقل ميزانهم بالحسنات والأجر، إنَّه لطيفٌ رحيم.

المقصود من الميزان

الميـزان في اللغة اسـم آلة يوزن بها الشـيء، والمراد به فـي الآيات عبارة عمّا يعـرف به مقادير الأعمـال، وليس علينا البحـث عن كيفيَّته، بل نؤمـن به ونفوِّض كيفيَّته إلى الله تعالى.

يقول صـدر المتألهين قدس سره: «إنَّ حقيقة الميزان ليس يجب أن يكون البتة مما له شـكل مخصـوص، أو صـورة جسـمانية، فإنَّ حقيقة معناه وروحه وسّره، هو ما

يقاس ويوزن به الشيء، والشيء أعمُّ من أن يكون جسمانياً أو غير جسماني، فكما أنَّ القبَّان، وذا الكفتين وغيرهما ميزان للأثقال،... فكذلك علم المنطق ميزان للفكر في العلوم النظرية، وعلم النحو ميزان للإعراب والبناء، والعروض ميزان للشعر، والحسّ ميزان لبعض المدركات، والعقل الكامل ميزان لجميع الأشياء، وبالجملة ميزان كل شيء يكون من جنسه، فالموازين مختلفة، والميزان المذكور في القرآن ينبغي أن يحمل على أشرف الموازين، وهو ميزان يوم الحساب، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ (١).وهو ميزان العلوم، وميزان الأعمال القلبية، الناشئة من الأعمال البدنية» (٢).

«وإذا كان البشر قد اخترعوا موازين للأعراض كالحرِّ والبرد، أفيعجز الخالق البارئ القادر على كل شيء، عن وضع ميزانٍ للأعمال النفسانية والبدنية، المعبَّر عنها بالحسنات والسيئات بما أحدثته في الأنفس من الأخلاق والصفات» (٣).

ميزان أم موازين ؟

يلاحَظ ورود الميزان في القرآن الكريم بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ (٤)، فما هو المراد من هذا الجمع؟

الموازين: جمع ميزان، وهو الوسيلة لقياس الأشياء، وهذا التعبير يدل على أنَّ في ذلك اليوم لا يوجد ميزان واحد للأعمال، بل هناك عدة موازين، وقد يكون المراد من تعدد الموازين أن يكون لكل إنسان، أو لكلِّ أمَّة، أو عملٍ، ميزاناً، فالصلاة مثلاً توزن بميزان، وكذلك الصيام والحجُّ والجهاد، أي لكلِّ واحدٍ منها ميزان خاص.

---

(١) الأنبياء: ٤٧
(٢) الأسفار، ج٩ ص ٢٩٩
(٣) المنار، ج ٨، ص ٣٢٣
(٤) القارعة: ٦-١١

وقد قال بعض المفسرين: إنَّ السبب في ذكر اللّه تعالى الميزان بصيغة الجمع، هـو أنَّ لـكلِّ نوع من أنواع الطاعـات ميزاناً، فيقام لكل منها هنـاك ميزان، فاللّه سـبحانه يخبر عن أنَّه وضـع لكلِّ شـيء ميزاناً يقدّر به، من غير فرق بين أن يكون جسـماً أو قـولاً أو فعـلاً أو عقيدة، فلكلِّ شـيءٍ ميـزانٌ يميّز به الحـقّ من الباطل، والصدق من الكذب، والعدل من الظلم، والرذيلة من الفضيلة.

وقيل: إنَّ الـميزان هو واحد لا أكثر، والدليل على هذا القول بعض الروايات في هذا المجال، وما صيغة الجمع (موازين) إلا لبيان عظمة الميزان.

الإختلاف في تحديد معنى الميزان

وأصل الميزان لا خلاف فيه، لكن وقع الاختلاف في مفهومه ومعناه على أقوال، أهمها:

أوّلاً:

إنَّ في القيامة موازين كموازين الدنيا، لكلِّ ميزان لسان وكفَّتان، تُوزَن به أعمال العباد من الحسـنات والسـيئات، أخذاً بظاهر اللَّفظ، واختلفوا في الموزون هل هو الأعمال، أو صحائف الأعمال.

ثانياً:

الميزان كناية عن العدل في الآخرة، وأنَّه لا ظلم فيها على أحدٍ، ووضع الموازين هو وضع العدل، وثقلها رجحان الأعمال بكونها حسنات، وخفّتها مرجوحيَّتها بكونها سيئات، وجاء في حديث عن الإمام الصـادق عليه السلام: أنَّهُ سئل عنِ الميزان،فقال: الميزان العدل [1].

ثالثاً:

الميزان: هو الحساب، وثقل الميزان وخفَّته، كناية عن قلّة الحساب وكثرته، لما

(١) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢٠ ص ٤١١

روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: « ومعنى قوله: ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** ﴾[١]، ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**﴾[٢]، فهو قلَّة الحساب وكثرته، والناس يومئذ على طبقات ومنازل، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، ومنهم الَّذين يدخلون الجنَّة بغير حساب، لأنَّهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا بشيء، وإنَّما الحساب هناك على من تلبَّس بها ههنا، ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير، ويصير إلى عذاب السَّعير، ومنهم أئمة الكفر وقادة الضلالة، فأولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً، ولا يعبأ بهم، لأنَّهم لم يعبأوا بأمره ونهيه، ويوم القيامة هم في جهنَّم خالدون، تلفح وجوههم النَّار، وهم فيها كالحون»[٣].

رابعاً:

الموازين: الأنبياء، والأوصياء، لما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [٤] قال: « الموازين: هم الأنبياء والأوصياء »[٥].

كيف يكون الجمع بين كل هذه الأحاديث والأقوال ؟ فقد ورد في بعضها: إنَّ الميزان بمعنى الوجود المقدَّس للأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ،ففي الزيارة نزور أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلين:

«السلام على يعسوب الإيمان وميزان الأعمال، وسيف ذي الجلال»[٦].

إنَّ تفسير الميزان بالعدل، أو بالنبي، أو بالقرآن، كلّها تفاسير بالمصداق، فليس للميزان إلاّ معنى واحد هو: ما يوزن به الشيء، وهو يختلف حسب اختلاف الموزون.

---

(١) الأعراف: ٨
(٢) الأعراف: ٩
(٣) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٩٠ ص ١٠٥
(٤) الأنبياء: ٤٧
(٥) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٧ ص ٢٤٣
(٦) الميرزا النوري - مستدرك الوسائل - مؤسسة آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لإحياء التراث - بيروت - لبنان - ج ١٠ ص ٢٢٢

وعلى ضوء هذا، فالقرآن الكريم ميزان، كما أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميزان، والإمام المعصوم عليه السلام ميزان،ويعتقد بعض المحققين أنَّ الأئمة المعصومين عليهم السلام وأولياء اللّه بمنزلة كفة الميزان الأولى، وأعمال الإنسان وعقائده ونياته بمنزلة الكفة الأخرى، فيوازن بينهما يوم القيامة.

فتقام الموازنة بين الناس من جهة، وأولياء اللّه من جهة أخرى، فكلَّما كانت أعمالنا وعقائدنا شبيهة ومقاربة لأولياء اللّه، فسيكون ميزان عملنا ثقيلاً، وهذا ما يتناسب مع قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**﴾ (١)، ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**﴾ (٢).

الميزان الدنيوي للإيمان

وقد جعل اللّه تعالى لتشخيص الإنسان صحة عقائده وأخلاقه وأعماله موازين، كالكتاب والسنّة والعقل، فقد روي أنَّ الإمام الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: «إعرض نفسك على ما في كتاب اللّه، فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وأبشر، فإنَّه لا يضرُّك ما قيل فيك، وإن كنت مبائناً للقرآن، فماذا الّذي يغرُّك من نفسك» (٣).

لمن تنصب الموازين؟

إنَّ نصب الموازين ليست مسألةً عامة لكل الناس على حدٍّ سواء، بل هي للمسلمين فقط، فلا يقام للكافرين والمشركين وزن يوم القيامة، بل تبطل أعمالهم، ويحشرون إلى جهنّم زمراً. قال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِه فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً** ﴾ (٤).

وعن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: « اعلموا عباد اللّه أنَّ أهل

---

(١) الأعراف: ٩

(٢) الأعراف: ٨

(٣) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٧٥ ص ١٦٣

(٤) الكهف: ١٨-١٠٥

الشرك لا تُنصَب لهم الموازين، ولا تُنشَر لهم الدواوين، وإنَّما يحشرون إلى جهنَّم زمـراً، وإنَّما نَصْـبُ الموازين، ونَشْـرُ الدواويـن، لأهل الإسـلام، فاتقوا اللّه عباد اللّه، واعلمـوا أنَّ اللّه عزَّ وجلَّ لم يحبَّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحدٍ من أوليائه، ولم يرغِّبهـم فيها، وفي عاجل زهرتهـا وظاهر بهجتها، وإنَّما خلـق الدنيا وخلق أهلها ليبلوهـم فيهـا أيُّهم أحسـنُ عملاً لآخرته، وأيم اللّه لقد ضـرب لكـم فيه الأمثال، وصرَّف الآيات لقومٍ يعقلون، ولا قوّة إلا باللّه... »[١].

ما هي الأعمال الثقيلة في الميزان ؟

يـلاحـظ فـي الروايات تعابير مختلفـة حول الأعمال الثقيلة فـي الميزان، ومن جملة هذه الأعمال:

١ - الشهادة بوحدانية اللّه ونبوة الرسول ﷺ

فقـد جاء في الحديث عن أميـر المؤمنين عليه السلام في باب الشـهادة بوحدانية اللّه ونبوة الرسـول ﷺ أنَّه قال:« نحمده بالحمد الذي ارتضـاه من خلقه، وأوجب قبوله على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسـوله، شهادتان ترفعان القول وتضاعفان العمل، خفَّ ميزان ترفعان منه، وثقل ميزان توضعان فيه، وبهما الفوز بالجنَّة والنَّجاة من النار »[٢].

٢ - ذكر اللّه تعالى:

ورد فـي بعض الروايـات أنَّ بعض الأذكار مثل: الحمد للّه، وسـبحان اللّه، واللّه أكبر، وكذلك لا إله إلا اللّه، تملأ ميزان العمل يوم القيامة.

ويسـتفاد من الأحاديث السـابقة، وكثير من الأحاديث الأخـرى، بأنَّ العمل قد يكـون صـغيراً، ولكن له أهميـة كبيرة، يجعل ميـزان العمل ثقيـلاً، ويملأ كفَّتيه، بحيث إنَّ تمرة واحدة تنفق بإخلاص لوجه اللّه تعالى، وابتغاء مرضـاته، تملأ كفَّة

(١) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ٨ ص ٧٥

(٢) م . ن . ج ٨ ص ١٩

ميزان العدل الإلهي، الَّذي يملأ ما بين المشرق والمغرب، ففي الرواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «تصدَّقوا ولو بصاعٍ من تمر، ولو ببعض صاع، ولو بقبضة، ولو ببعض قبضة، ولو بتمرة، ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة لينة، فإنَّ أحدكم لاقِ الله فقائل له: ألم أفعل بك؟ ألم أجعلك سميعاً بصيراً؟ ألم أجعل لك مالاً وولداً؟ فيقول: بلى، فيقول الله تبارك وتعالى: فانظر ما قدمت لنفسك، قال: فينظر قدَّامه وخلفه، وعن يمينه وعن شماله، فلا يجد شيئاً يقي به وجهه من النار»[١].

فانظر إلى شق التمرة وأثره يوم القيامة، وما ينميه من الأجر الجزيل عند الله تعالى على ما تراه من قله هذا العمل، ففي الرواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «...حتى أنَّ الرجل ليتصدق بالتمرة أو بشقِّ تمرة فاربيها له كما يربي الرجل فلوه وفصيله»[٢].

٣ - الصلاة على محمد وآل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

عن الإمام محمّد الباقر أو الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما في الميزان شيءٌ أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، وإنَّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به، فيخرج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به»[٣].

٤ - حبُّ النبي وآله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

ومن المواطن التي تظهر فيها آثار مودَّتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، هي الميزان يوم القيامة، ففي الحديث عن رسول الله الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «حبِّي وحبُّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهنَّ عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط»[٤].

---

(١) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ٤ ص ٤

(٢) م.ن. ج ٤ ص ٤٧

(٣) م.ن. ج ٢ ص ٤٩٤

(٤) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ١ ص ٥١٨

٥ - حسن الخلق

ففي الرواية عن رســول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: « ما من شئ أثقل في الميزان من خلق حسن»[١].

٦- مداد العلماء:

إنَّ مداد العلماء لما فيها من صلاح للأمة، ولما لها من أثر كبير في إيمان الناس، كانت أثقل من كثير من الأعمال التي لا يســتقل بما فيها من المثوبة والجزاء، ومن ذلك دماء الشهداء على منزلة وعظمة تلك الدماء ،فعن الإمام الصادق عليه السلام: « إذا كان يوم القيامة جمع الله عزَّ وجلَّ الناس في صعيد واحد، وضعت الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء»[٢].



خلاصة الدرس

الميزان في اللغة اسم آلة يوزن بها الشيء، والمراد به في الآيات عبارة عمّا يعرف به مقادير الأعمال.

قال بعض المفســرين: إنَّ السبب في ذكر الله تعالى الميزان بصيغة الجمع، هو أنَّ لـكلِّ نـوع من أنواع الطاعـات ميزان، فيقام لكلٍّ منها هنــاك ميزان، وقيل: إن الـميزان هو واحد لا أكثر، والدليل على هذا القول بعض الروايات في هذا المجال، وما صيغة الجمع (موازين) إلا لبيان عظمة الميزان.

وأصل الميزان لا خلاف فيه، لكن وقع الاختلاف في مفهومه ومعناه على أقوال، أهمها:

---

(١) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ١ ص ٧٩٩

(٢) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٢ ص ١٤

أوّلاً: إنَّ في القيامة موازين كموازين الدنيا، لكلِّ ميزان لسان وكفَّتان، تُوزَن به أعمال العباد من الحسنات والسيئات.

ثانياً: الميزان كناية عن العدل في الآخرة، وأنَّه لا ظلم فيها على أحدٍ.

ثالثاً: الميزان: هو الحساب، وثقل الميزان وخفّته كناية عن قلّة الحساب وكثرته.

رابعاً: الموازين: الأنبياء، والأوصياء

إنَّ نصب الموازين ليست مسألةً عامة لكل الناس على حدٍّ سواء، بل هي للمسلمين فقط، فلا يقام للكافرين والمشركين وزن يوم القيامة، بل تبطل أعمالهم، ويحشرون إلى جهنَّم زمراً.

الأعمال الثقيلة في الميزان:

١ - الشهادة بوحدانيَّة اللّٰه ونبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

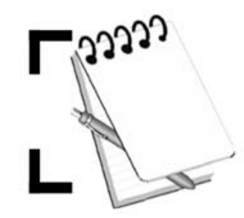
٢ - ذكر اللّٰه تعالى.

٣ - الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام.

٤ - حبُّ النبي وآله عليهم السلام.

٥ - حسن الخلق.

٦- مداد العلماء.



أسئلة حول الدرس

١- ما هو المقصود بالميزان ؟

٢- لماذا وردت كلمة الميزان بالجمع في القرآن الكريم ؟

٣- وقع الخلاف في مفهوم الميزان على أقوال، أذكر بعضاً منها

٤- ما هي الأعمال التي تثقل الميزان يوم القيامة ؟



﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾.



النفسُ تبكي على الدنيا وقد علمت
أنَّ السعادة فيها ترك ما فيها
لا دارَ للمرءِ بعد الموت يسكُنها
إلا التي كانَ قبل الموتِ بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنُها
وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعُها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها
أين الملوك التي كانت مسلطنَةً
حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
كم من مدائنَ في الآفاق قد بنيت
أمست خراباً وأفنى الموتُ أهليها

لا تـركَـنَـنَّ إلـى الـدنـيـا ومـا فـيـهـا
فـالـمـوت لا شـك يُـفـنـيـنـا ويُـفـنـيـهـا
لـكـلِّ نـفـس وإن كـانـت عـلـى وجـلٍ
مـن الـمَـنِـيَّـةِ آمـالٌ تـقـوِّيـهـا
الـمـرء يـبـسـطـهـا والـدهـر يـقـبـضُـهـا
والـنـفـس تـنـشـرهـا والـمـوت يـطـويـهـا



عمل يسير وفضلٌ كبير

عن أبي عبد الله الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: دخل سدير على أبي عليه السلام في شهر رمضان فقال: يا سدير هل تدري أيّ الليالي هذه؟ فقال: نعم فداك أبي، هذه ليالي شهر رمضان، فما ذاك؟ فقال له:

أتقدر على أن تعتق في كل ليلة من هذه الليالي عشر رقبات من ولد إسماعيل؟

فقال له سدير: بأبي أنت وأمي لا يبلغ مالي ذاك، فما زال ينقص حتى بلغ به رقبة واحدة، في كلِّ ذلك يقول: لا أقدر عليه، فقال له:

فما تقدر أن تفطر في كل ليلة رجلاً مسلماً؟ فقال له: بلى وعشرة، فقال له: أبي عليه السلام: فذاك الذي أردتُ يا سدير، إنَّ إفطارك أخاك المسلم يعدل رقبة من ولدِ إسماعيل عليه السلام.

وعن أبي جعفر الباقر عليهما السلام قال: «من نوى الصوم ثم دخل على أخيه فسأله أن يفطر عنده فليفطر، وليدخل عليه السرور، فإنَّه يُحتَسب له بذلك اليوم عشرة أيام، وهو قول الله عزَّ وجل: ﴿ **مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من دخل على أخيه وهو صائم فأفطر عنده، ولم يعلمه بصومه فيمنَّ عليه، كتب الله له صوم سنة».

الدرس الثامن

الصراط والمرصاد

تمهيد:

الصراط في اللغة هو الطريق، ويغلب استعماله على الطريق الذي يوصل الإنسان إلى الخير، بخلاف السبيل، فإنّه يطلق على كلِّ سبيل يتوسل به، خيراً كان أم شرّاً [1].

أمَّا كلمة المرصاد، فهي مشتقة من مادة (رصد)، على وزن (حسد)، وهو المكان الذي يرصد منه ويرقب، والمرصد: موضع الرصد.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلْطَّاغِينَ مَآبًا** ﴾ [2].

وقد فسِّر بمعنى الصراط، وأحيانا أخرى بأنَّه ممر خاص من نفس الصراط، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «المرصاد قنطرة على الصراط، لا يجوزها عبد بمظلمة» [3].

---

(١) مفردات الراغب، مادة سبل

(٢) النبأ: ٢١-٢٢.

(٣) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ٢ ص ٣٣١

صراط في الدنيا وآخر في الآخرة

وقد جعل الله تعالى للناس في الدنيا صراطاً، وفرض عليهم إتباعه، وعدم إتِّباع سبل غيرَه، قال تعالى: **﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾**(١).

وهو طريق على الإنسان أن يسلكه باختياره لينال سعادته في الدنيا، ومن ثم الآخرة، قال الله تعالى: **﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾**(٢).

وقد ورد في حديث (مفضل بن عمر) يقول: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن الصراط فقال:

«الصراط: الطريق إلى معرفة اللّه سبحانه وتعالى، ثمَّ قال عليه السلام: هما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأمَّا الصراط الذي في الدنيا، فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنَّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلَّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردَّى في نار جهنَّم»(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: **﴿اهدنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾**(٤) قال:« هو أمير المؤمنين عليه السَّلام ومعرفته»(٥).

وعن أبي حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: «ليس بين الله وبين حجَّته حجاب، فلا للّه دون حجَّته ستر، نحن أبواب اللّه، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرّه»(٦).

---

(١) الأنعام: ١٥٣

(٢) الدهر: ٣

(٣) الدهر: ٣

(٤) الفاتحة: ٦

(٥) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٢٤ ص ١٢

(٦)م. ن. ج ٢٤ ص ١٢

فكل ما جعله الله تعالى من سبل للهداية، كالقرآن الكريم، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين، هم الصراط الذي لا بدّ من الإهتداء بهديه وسلوك مسالكه، لتحصيل رضا الله ونعيمه في الدنيا والآخرة.

ويظهر من الذكر الحكيم، ويدلُّ عليه صريح الروايات، وجود صراط آخر، في النشأة الأخروية يسلكه كلُّ مؤمنٍ وكافرٍ، وهو جسرٌ ينصب على جهنَّم، وعلى الجميع عبوره، وأشير إليه في الآيات الكريمة، بينما ورد ذكره بالتفصيل في الروايات الشريفة.

يشير الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام إليه في حديثه عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

«والصّراط المستقيم، صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، أمَّا الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلوّ، وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيءٍ من الباطل، وأمَّا الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنَّة»[١].

ما هي حقيقة الصراط ؟

يقول سبحانه: **﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾**[٢].

يستفاد من الروايات الشريفة، أنَّ الصراط جسر على جهنَّم في طريق الجنَّة، ويرده كل برٍّ وفاجرٍ، فالأبرار يمرُّون عليه بسرعة، أمَّا الفجَّار فتزلُّ أقدامهم ويتردّون في نار جهنَّم.

وقد ورد في الروايات أنَّه أدقُّ من الشعرة، وأحَدُّ من السيف، وأشدُّ حرارة من النَّار، وأنَّ المؤمنين الخلَّص يمرُّون عليه بسهولة، كالبرق الخاطف، بخلاف البعض الآخر.

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٨ ص ٧٠

(٢) المؤمنون: ٧٣ - ٧٤

فعن الإمام الصـادق عليه السلام: « النَّاس يمرُّون على الصراط طبقات، والصراط أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف، فمنهم من يمشي عليه مثل البرق، ومنهم من يمرُّ عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرُّ حبواً، ومنهم من يمرُّ مشياً، ومنهم من يمرُّ متعلِّقا قد تأخذ النَّار منه شيئاً وتترك شيئاً»[1].

الصراط ممرٌّ حتميٌّ

فالكلُّ يسلك الصراط في النشأة الأُخرى، ويختلفون في السرعة والبطء، بحسب شدّة سلوكهم للصراط الدنيوي، ولأجل ذلك تضافرت الروايات باختلاف مرور الناس، حسب اختلافهم في سلوك صراط الدنيا.

يقول سبحانه وتعالى: **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا * وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾**[2].

ما هو الورود؟

اختلف المفسّرون في معنى الورود في الآية الكريمة **﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾**، بين قائل بأنَّ المراد منه هو الوصول إلى النَّار في القيامة، أو الإشراف عليها، لا الدخول، وقائل بأنَّ المراد دخولها.

فالورود في اللغة هو قصد الماء، ثمَّ يستعمل في غيره، يقال: وردت الماء. قال تعالى **﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾**[3]. ومعنى ذلك أنَّ الورود لا يستلزم الدخول، فمن كانَ من أهل الجنّة يشرف على جهنّم من غير أن يدخلها، ويكون (الصراط) بمعنى الجسر الذي يمر على جهنّم، فعلى الجميع

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٨ ص٦٤ - ٦٥

(٢) مريم: ٦٨ - ٧٢

(٣) القصص:٢٣

اجتيازه وعبوره، فتزلُّ أقدام المجرمين ويترددون في النَّار، أمَّا المؤمنون فيجتازونه بسرعة ويدخلون الجنَّة.

والشاهد على هذا التفسير، حديثٌ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال في تفسير الآية أعلاه: «أما تسمع الرَّجل يقول: وردنا ماء بني فلان، فهو الورود ولم يدخله»(١).

وهناك تفسير آخر، وهو أنَّ البرَّ والفاجر يدخلان جهنَّم، فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً على الكافرين والمجرمين، كما أصبحت النَّار برداً وسلاماً على إبراهيم، وفي هذا المعنى رواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري، إذ سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الورود الدخول لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلا دخلا، ما كانت على إبراهيم حتى أنَّ للنَّار - أو قال لجهنَّم - ضجيجاً من بردها ثم ينجِّي الَّذين اتقوا»(٢).

وعلى كلِّ تقدير، فلا بدَّ للمسلم من الاعتقاد بوجود صراط في النشأة الأخروية، وهو طريق المؤمن إلى الجنَّة، والكافر إلى النَّار.

ما بين صراط الدنيا والآخرة

إنَّ من يسلك الصراط الدنيوي الذي جعله الله معبراً لطاعته **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾**(٣)، واهتدى بهدي القرآن واقتدى بالنبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم واتَّبعه وأهلَ بيته عليهم السلام، فله الأمن، و يسلك الصراط الأخروي ويجتازه بأمان إلى الجنَّة.

ومن أعرض عن ربِّه، ونسي ذكره، واتَّبع سبيل الشيطان، وانطوى تحت ولايته، يأتي يوم القيامة ليسلك الصراط الأُخروي، فتزلُّ قدمه ويهوي في عذاب السَّعير.

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٨ ص ٢٩٢

(٢) م. ن. ج ٨ ص ٢٤٩

(٣) الأنعام: ١٥٣

إنَّ قيام الإنسان بالوظائف الإلهية، في مجالي العقيدة والعمل أمر صعب، أشبه بسلوك طريق أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، فإذا كان هذا حال الصراط الدنيويّ من حيث الصعوبة والدقة، فكيف يكون حال الصراط الأُخرويّ.

مواقف على الصراط

على الصراط عدة مواقف كما ورد في الروايات الشريفة، وفي كلٍّ موقف يسأل فيه عن شي، فأمَّا الأول، فيسأل عن الصلاة، فهي عمود الدِّين وأساسه.

وأمَّا الثاني، فعن الأمانة وصلة الرحم، وهما علامات في المؤمن، وصفات يتميَّز بها عن سواه.

والثالث عن العدالة وما شابه ذلك، كما لا يمكن لأحد العبور عليه واجتيازه، إلا بولاية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وولاية الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام.

فعن جابر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أدقُّ من الشعرة، وأحدُّ من السيف، عليها ثلاث قناطر.

فأمَّا واحدة: فعليها الأمانة والرحم.

وأمَّا ثانيها: فعليها الصلاة.

وأمَّا الثلاثة: فعليها عدل ربّ العالمين، لا اله غيره، فيكلفون الممّر عليها، فتحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربِّ العالمين جلَّ وعزَّ، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾، والنَّاس على الصراط، فمتعلِّق بيد وتزول قدم مستمسك بقدم.

والملائكة حولها ينادون: يا حليم اعف واصفح وعد بفضلك، وسلم، وسلم.

والنَّاس يتهافتون في النَّار كالفراش فيها، فإذا نجا برحمة اللّه مرَّ بها، فقال: الحمد للّه، وبنعمته تتمُّ الصالحات، تزكو الحسنات، والحمد للّه الَّذي نجّاني منك بعد اليأس بمنِّه وفضله، إنَّ ربَّنا لغفورٌ شكورٌ»[١].

(١) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ٨ ص ٣١٢

ممّا يسهّل عبور الصراط

من الأمور التي تسـهِّل على المارِّ على الصراط مروره واجتيازه، وتقوده للنجاح والوصول للجنة:

١ - التمسُّك بالرسول الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام:

فالتمسُّـك بالرسـول الأكـرم ﷺ، وأهل بيتـه الطاهرين، يسـهِّل اجتياز هذا الطريـق المخـوِّف، فقد جاء فـي حديث عن الرسـول الأكـرم ﷺ: «إذا كان يوم القيامة ونصـب الصراط على جهنَّم، لم يجزْ عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب»[١].

٢ - صوم أيامٍ من رجب:

فقـد رُوِيَ عن الرسـول الأكرم ﷺ: «...ومن صـام من رجب سـتَّة أيام، خرج من قبره ولوجهه نور يتلألأ، أشـدّ بياضـاً من نور الشـمس، وأعطى سوى ذلك نوراً يستضـئ به أهل الجمع يوم القيامة، وبعث من الآمنين يوم القيامة، حتى يمرَّ على الصراط بغير حساب »[٢].

٣ - الصلاة مخصوصة:

وتكـون في الليلة التاسـعة والعشـرين من شـعبان، فعن الرسـول الأكرم ﷺ: «مَـن صـلّى فـي الليلة التاسـعة والعشـرين من شـعبان عشـر ركعات، يقـرأ فـي كلِّ ركعـة فاتحـة الكتـاب مـرّة، وألهاكـم التكاثـر عشـر مـرّات، والمعوذتيـن عشـر مرّات، وقل هو الله أحد عشـر مرّات، أعطـاه الله تعالى ثواب المجتهدين، وثقَّل ميزانه، ويخفِّف عنه الحسـاب، ويمرُّ على الصـراط كالبـرق الخاطـف»[٣].

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء.الطبعة الثانية المصححة - ج ٨ ص ٦٨

(٢) الصدوق - ثواب الأعمال - منشورات الشريف الرضي - قم- ص ٥٥

(٣) ابن طاووس - إقبال الأعمال - مكتب الإعلام الإسلامي - ج ٣ ص ٣٦٤

٤ - زيارة الإمام الرضا عليه السلام :

فإنَّــه رُوِيَ عن الإمام الرضــا عليه السلام أنه قــال: «من زارني على بعــد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتّى أخلّصــه من أهوالهــا: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط وعند الميزان»[١].



خلاصة الدرس

الصــراط فــي اللغة هــو الطريق، ويغلــب اســتعماله على الطريق الذي يوصــل الإنسان إلى الخير.

المرصاد وهو المكان الذي يرصد منه ويرقب.

ويظهر من الذكر الحكيم، ويدلُّ عليه صــريح الروايات، وجود صــراط آخر، في النشــأة الأخروية، يســلكه كلُّ مؤمنٍ وكافرٍ، وهو جســرٌ ينصــب على جهنّم، وعلى الجميــع عبوره، وأشــير إليه فــي الآيات الكريمــة، بينما ورد ذكره بالتفصــيل في الروايات الشريفة.

يستفاد من الروايات الشريفة أنَّ الصراط جسر على جهنَّم في طريق الجنَّة، ويــرده كل بــرٍّ وفاجر، فالأبــرار يمرُّون عليه بســرعة، أمَّا الفجّار فتــزلُّ أقدامهم ويتردّون في نار جهنَّم.

الكلُّ يسلك الصراط في النشأة الأُخرى، ويختلفون في السرعة والبطء، بحسب شدّة ســلوكهم للصراط الدنيوي، ولأجل ذلك تضــافرت الروايات باختلاف مرور الناس، حسب اختلافهم في سلوك صراط الدنيا.

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٩٩ ص ٣٤

لا بدَّ للمسلم من الاعتقاد بوجود صراط في النشأة الأخروية، وهو طريق المؤمن إلى الجنَّة، والكافر إلى النَّار.

إنَّ قيام الإنسان بالوظائف الإلهية، في مجالي العقيدة والعمل أمر صعب، أشبه بسلوك طريق أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، فإذا كان هذا حال الصراط الدنيوي من حيث الصعوبة والدقة، فكيف يكون حال الصراط الأُخروي؟.

على الصراط عدة مواقف كما ورد في الروايات الشريفة، وفي كل موقف يسأل فيه عن شيء.

مما يسهل عبور الصراط.

١ - التمسك بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام.

٢ - صوم أيامٍ من رجب.

٣ - الصلاة مخصوصة.



أسئلة حول الدرس

١- ما المراد من الصِّراط والمرصاد ؟

٢- هل المرور على الصِّراط حتميٌّ ؟

٣- ما هي العقبات التي تعترض الإنسان على الصِّراط ؟

٤- أذكر بعضاً مما يسهِّل عبور الصِّراط.



﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا * وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

أشعار الحكمة

لستُ أدري إذا استطارَ فؤادي
يومَ بعثِي بجسميَ العريانِ

ما اعتذاري لدى الحساب إذا ما
نشرَ ما اقترفتُ طولَ زماني

ما اعتذاري وقد جنيت ذنوباً
أثقلتني وسوَّدت ديواني

ما اعتذاري إذا دُعيتُ وخفَّت
حسناتي بكفَّةِ الميزانِ

ما اعتذاري إذا سُئلتُ بماذا
قد تقضَّى بكَ الزَمَانُ الفَانِي

ما اعتذاري إذا نُشرتُ وعُدَّتْ
ما جنته يَداي والرجلانِ

وأقيمت عليَّ منّي شهودٌ
باجترامي جوارحي ولساني
لهفَ نفسي إذا أخذتُ كِتابي
بشمالي وبِتُّ بالخُسرانِ
واستتمَّتْ عليَّ حجَّة حقٍ
عن قضاءِ المهيمنِ المنَّانِ
من مُجيري مِن العَذابِ إذا ما
حكمتني حُكومَةُ الديَّانِ
من مُجِيري مِن الشَقَاءِ إذا ما
قيَّدتْنِي سلاسِلُ الخذلانِ
من مُجِيري عَلى الصِراطِ إذا ما
أرعَشَتْنِي عَواقِبُ العِصْيَانِ



بهلول والعبور على الصراط

كان بهلول يذهب في بعض الأوقات إلى المقبرة ويجلس بين القبور، ثمَّ يقرأ سورة الفاتحة للأموات سواء كان يعرفهم أو لا، وذات يوم وعلى عادته،كان البهلول قاصداً مقبرة المسلمين، فصادفه هارون الرشيد، وهو يريد الذهاب الى الصيد.

حينما وصل هارون قرب البهلول سمعه يردد كلمة: «الصِّراط... الصِّراط»

فلما شاهده هارون سأله قائلاً: ماذا تفعل يابهلول؟ وماذا تعني بالصِّراط؟

أجابه بهلول وكان جالســا على قبر من القبور: (جئت أناســاً لا يغتابون أحداً ولا يرجون مني شيئاً ولا يؤذونني)

نهض بهلـول من القبر، ووقف الــى جانب هارون، وكان مطرقــا إلى الارض... تريد معرفة معنى الصراط ؟: (قل لهؤلاء أن يوقدوا ناراً هنا).

أمــر هارون مــن حوله ليذهب في طلب الحطب، فلما أحضــرت النَّار قال بهلول لهــارون أن يأمر له بطشــت فيه ماء ويضــعونه على النار، فلما نفَّــذوا أمر هارون، وأشــتدت حرارة الطشــت، وأخذ الماء يغلــي، قال لهارون: ياهــارون قف على هذا الطشــت، ثمَّ عرِّف عن نفسك ،ومأكلك وملبسك، فإن أتممت كلامك أقف أنا أيضا وأفعل مثل ذلك.

كان هارون يخشى الوقوف داخل الطشت، فحاول صرف بهلول مما ينويه، فقال لبهلول: عليك أن تفعل ذلك أنت أولاً.

كان يشــمُّ من كلام هارون رائحة الخــوف الممزوج بالتهديد، لكنَّ ذلك لم يكن ليثنيَ بهلولا عن عزيمته

فقال: نعم أفعل ذلك أنا أولاً.

ثــمَّ ذهب إلى الطشــت فوقف في وســطه وقال: أنا بهلــول طعامي التمر وخبزي الشعير ولباسي من الصوف.

فلمَّا أتمَّ بهلول كلامه، خرج وليس في قدميه آثار الحروق.

والآن وصــلت النوبة لهارون، وقد أمســكوا به من تحت أبطيــه ليخلع نعليه، فقد تقــدَّم وهو يلفظ أنفاســه بســرعة، والعرق يتصــبب من جبينه، وأخيــراً خلع نعليه ودخل الطشــت على عجل فلــم تكن له طاقة الوقوف أكثر مــن لحظه قال فيها: أنا هارون............ ثمَّ قفز بسرعة.

لــم يجــرؤ من كان حول هارون على الضــحك مــن هارون، وحاولوا أن يمســكوا أمامه أفواههم،

لم يكن هارون يستطيع الوقوف على قدميه أمام حاشيته، فأخذ ينظر إلى من حوله بغضب، قل لي الان ماذا أردت من ذلك ؟

تبسَّم بهلول وقال: إعلم أنَّ يوم القيامة بهذا النحو، فإنَّ الَّذين لا يملكون في الدنيا مالاً ولا ذهباً يعبرون الصِّراط آمنين، وأمَّا من كان متعلقاً بالدُّنيا وزينتها، فليس له قدرة العبور على الصراط، فإنَّ من كان كذلك يسقط في الَّلحظة الأولى من وقوفه على الصراط.

الدرس التاسع

محكمة الآخرة

تمهيد:

يوم القيامة يوم جليل خطبه، عظيم خطره، بل هو اليوم الذي ليس قبله مثله ولا بعده مثله، وكلُّ ما فيه ظاهرٌ ومنكشـف، إذ تُبَيَّن كلُّ الأمور على حقائقها، فلا زيف ولا خداع ولا كذب﴿ **يَوْمَئذ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى منكُمْ خَافيَةٌ**﴾ (١).

هو يوم يجمع الله فيه الأَوَّلين والآخرين للحساب: ﴿ **قُلْ إنَّ الْأَوَّلينَ وَالْآخرينَ * لَمَجْمُوعُونَ إلَى ميقَات يَوْم مَّعْلُوم**﴾.(٢) ﴿ **رَبَّنَا إنَّكَ جَامعُ النَّاس ليَوْم لاَّ رَيْبَ فيه إنَّ اللّه لا يُخْلفُ الْميعَادَ**﴾ (٣).

يومٌ يشيب من هوله الوليد، وتذهل الأمُّ الحنون عن طفلها، وتسقط فيه الحامل حملها: ﴿ **أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَة شَيْءٌ عَظيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضعَة عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَات حَمْل حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بسُكَارَى وَلَكنَّ عَذَابَ اللّه شَديدٌ**﴾ (٤).

---

(١) الحاقة:١٨

(٢) الواقعة:٤٩ - ٥٠

(٣) آل عمران:٩

(٤) الحج:١ - ٢

في هذا الموقف لا يملك الإنسـان إلا أن يعترِف ويقرَّ على نفسـه، لأنَّ الشهود لا يمكن أن تُردَّ شـهادتهم، فيتبيَّن لكلِّ إنسـان ما له وما عليه من حقوق اللّه تعالى، وحقـوق الناس، فيأخذ كلُّ إنسـان حقَّه مِمن ظلمه، وغصَـب حقَّـه، وآذاه واعتدى عليه، كما أنَّ اللّه يفتدي ذنوب عباده الصـالحين بحسنَاتٍ من عنده وهدايا لكي لا ينَالَ الكافر من المؤمن في بعض الحالات.

في ذلك اليوم المشـهود تقام محكمة العدل الإلهيَّة، التي يقضي فيها ربُّ العزَّة سـبحانه بين خلقه وعباده، وكما هو حال الدنيا، فإنَّـه لا بدَّ لكلِّ محكمةٍ من حَاكم يحكم ويقضي، وشهودٍ يشهدون، ومتَّهَمٍ وأرضٍ يقام عليها الحكم.

الحاكم والقاضي هو اللّه تعالى

١- أمـا الحاكم: فهو اللّه جلَّ جلاله، جبَّار الأرض والسـماء، تباركت أسـماؤه، وعظمـت صـفاته، الذي يعلم السِّـر وأخفى، الـذي يعلم خائنة الأعيـن وما تخفي الصدور، الخالق لكلِّ شيء سبحانه وتعالى، وإذ يتحاجُّون في النار فيقول الضعفاء للذين اسـتكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصـيباً من النار، قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن اللّه قد حكم بين العباد

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾[1].

صفة حكمه تعالى

من خصائص الحكم الإلهي في يوم القيامة:

العدل المطلق:

﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾[2].

---

(١) يونس: ٩٣

(٢) الزلزلة: ٧ - ٨

لأنَّ الله تعالــى هو العدلُ الذي لا يجُور، وإنَّما يحتَاجُ إلى الظلم الضـعيف، يقول الله تعالى:﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١].

ويقول الله تعالى: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[٢].

لا محاباة ولا أنساب تنفع:

يقول الله تعالى﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ ﴾[٣].

أي لا تنفع الإنسان يومئذ قرابة، ولا رشوة تغيِّر الحكم، فالحاكم هو الغني المتعال، والـكلُّ مفتقر إليه سـبحانه:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[٤].

ولا تهديد ولا ضـغوط: فالحاكم هو القوي سبحانه:﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[٥]، ويقول تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[٦].

حكمه لا يقبل النقض:

تعـارف الناس في الدنيا على نقض الحكم، أو محاولة اسـتئنافه، لعلَّ خللاً ما يظهر فيه، وهذا يمكن تصوُّره في حق القضاة البشر، المعرضين للوقوع في الخطأ والإشـتباه، ولكـن لا يمكن تصـوره في حق الله تعالى العليـم الخبير العادل، يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٧].

---

(١) الكهف:٤٩
(٢) غافر: ١٧
(٣) المؤمنون:١٠١
(٤) فاطر:١٥
(٥) البقرة:١٦٥
(٦) مريم:٩٣
(٧) الرعد: ٤١

الشهود

وأما الشهود فهم كثرٌ فلا مكان للإنكار والكذب والمراوغة.

الشاهد الأول: الله سبحانه

إنَّ الله سبحانه هو القاضي والحاكم بين العباد، وهو بنفسه أيضاً شاهد على أعمالهم، يقول سبحانه: **﴿إنَّ الله يَفْصلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقيَامَة إنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْء شَهِيدٌ﴾**(١)، ويقول تعالى: **﴿ولا تَعْمَلُونَ منْ عَمَل إلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾**(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: « اتقوا معاصي الله في الخلوات، فإنَّ الشاهد هو الحاكم »(٣).

الشاهد الثاني الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

قال تعالى: **﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ في كُلِّ أُمَّة شَهِيداً عَلَيْهِم منْ أَنفُسهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هؤلاء﴾**(٤). بيّن سبحانه أنَّه يبعث في يوم القيامة من كلِّ أمّة شهيداً، وهم الأنبياء والعدول من كلِّ عصر، يشهدون على الناس بأعمالهم، هؤلاء هم ذوو عصمة إلهية، ليمتنع عليهم الخطأ والاشتباه عند تحمّل الشهادة، والكذب والخيانة عند أدائها، وهذا الوصف هو ما تقتضيه محكمة العدل الإلهيَّة، حيث لا ظلم اليوم، ويأتي على رأس هؤلاء الشهود خاتم الأنبياء وسيدهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي عدَّه القرآن الشاهد على أُمّته، يقول سبحانه وتعالى:

﴿فَكَيْفَ إذَا جِئْنَا منْ كُلِّ أُمَّة بِشَهِيد وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَء شَهِيدًا﴾ (٥).

ويقول سبحانه: **﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّة شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاَءِ﴾** (٦).

---

(١) الحج: ١٧

(٢) يونس: ٦١

(٣) نهج البلاغة الحكمة (٣٢٤)

(٤) النحل: ١٦ – ٨٩

(٥) النساء: ٤١

(٦) النحل: ٨٩

الشاهد الثالث: بعض الأمّة الإسلامية

يقولـه سـبحانه: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**(١).

والخطاب في الآية للأمّة الإسلامية، ولكنَّ المراد قسم منها، وإلى هذا تشير رواية الزبيري عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال الله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**(٢)، فإن ظننت بأنَّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين، أفترى أنَّ من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة، ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟!! كلا، لم يعن الله مثل هذا من خلقه»(٣).

الشاهد الرابع: الأعضاء والجوارح

يقول سبحانه: **﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**.(٤)

ويقول سبحانه: **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**(٥).

دلَّت كثير من الآيات الشريفة على أنَّ الجوارح تشهد على أصحابها، بكيفية استخدامهم لها، فهل استعملوها في رضا الله تعالى أم في سخطه؟.

«فما كان منها من قبيل الأقوال، كالقذف والكذب والغيبة ونحوها، شهدت عليه الألسنة، وما كان منها من قبيل الأفعال، كالسرقة والمشي للنميمة والسعاية وغيرها، شهدت عليه بقية الأعضاء»(٦).

---

(١) البقرة: ١٤٣

(٢) البقرة: ١٤٣

(٣) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٢٣ ص ٣٥٠

(٤) النور: ٢٤

(٥) يس: ٦٥

(٦) الطباطبائي - محمد حسين- الميزان في تفسير القرآن - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة - ج ١٥ ص ٩٤.

حتى أنَّ الجلود تشهد على صاحبها يوم القيامة، يقول سبحانه: **﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** (١).

الشاهد الخامس: الملائكة

يقول سبحانه: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**.(٢)

وهذا الرقيب العتيد يشهد أعمال من وكّل به يوم القيامة، عندما يردُ الإنسان صعيدَ الحساب.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه الذي علمه لكميل بن زياد قُدِّسَ سِرُّهُ: «وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثْباتِهَا الْكِرامَ الْكاتِبينَ الَّذينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ ما يَكُونُ مِنّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوارِحي، وَكُنْتَ أَنْتَ الرَّقيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرائِهِمْ، وَالشّاهِدَ لِما خَفِيَ عَنْهُمْ».

الشاهد السادس: صحيفة الأعمال

يقول سبحانه: **﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شيءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾** (٣).

ويقول سبحانه مصوّراً حال المجرم عند الحساب وشهادة الكتاب عليه: **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾**.(٤)

الشاهد السابع: الأرض

فالأرض تشهد على الإنسان يوم القيامة بما فعل عليها من طاعات ومعاصي، فتشهد خطاه للمساجد عليه بالطاعة، وخطاه إلى الجهاد ايضاً، وكذلك تشهد على الذي يسير عليها بالكبر والغرور...

---

(١) سورة فصلت: ٢٠-٢١

(٢) ق: ١٨

(٣) سورة يس: ١٢

(٤) الكهف: ٤٩

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [(١)].

روى الشيخ الطوسي بإسناده عن أبي ذرّ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، في وصيته له: «يا أبا ذرّ، ما من رجلٍ يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض، إلاّ شهدت له بها يوم القيامة»[(٢)].

السرعة في المحاكمة

إنَّ محكمة الآخرة ليست كمحاكم الدنيا وأهلها التي تطول لسنين، وربَّما تظهر براءة المتهم بعد إدانته، ويطول فيها الحسم في الأحكام، ففي محكمة الآخرة يحسم الحكم بسرعة.

قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [(٣)] وقد وردت حول هذا الموضوع (سرعة الحساب) رواياتٌ كثيرة نذكر منها:

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنَّه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة»[(٤)].

و في رواية أخرى: «إنَّ اللّه يحاسب الخلائق كلَّهم في مقدار لمح البصر»[(٥)].

و سبب هذه السرعة واضح، حيث إنَّ الحساب منوط بالعلم والاطلاع الكامل، وبالقدرة الخارقة ورعاية العدالة، و اللّه سبحانه وتعالى يمتلك كلَّ ذلك في حد الكمال المطلق.

المتهم

هو الإنسان الذي خلقه اللّه بيده، وأسجد له الملائكة، وكرَّمه على كثير ممن

---

(١) الزلزلة: ٤- ٥

(٢) الحر العاملي - محمد بن الحسن - وسائل الشيعة - دار إحياء التراث - بيروت -ج ٥ ص ١٨٨

(٣) آل عمران: ١٩

(٤) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ١ ص ٦٢٦

(٥) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٢ ص ٦٤

خلق، سخَّر الكون له، وأرسل له الرسل، وأنزل له الكتب، وجعل له واعظاً من عند نفسه بالفطرة التي فطر الله الناس عليها على معرفته سبحانه، وحذَّره من الشيطان وطاعته، الإنسان الذي إذا أحاطت به الخطوب تذكَّر ربَّه، وإذا كان في نعمة غفل وكفر، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (١).

أرض المحكمة:

هي أرض أخرى غير أرضنا، لم تطأها قدمٌ من قبلُ، ولم تعمل عليها بخطيئة، ولم يسفك عليها دمٌ، أرض طاهرةٌ من ذنوب بني آدم وظلمهم، طهرٌ يتناسب وطهرِ القضاءِ الذي سيقضى عليها، وسوف يعرضُ كل عبدٍ على ربِّه، ويتولى سبحانه حسابه بنفسه، فقد ورد عن رسول الله الأكرم ﷺ: «كلُّكم مكلِّم ربَّه يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أمامه فلا يجد إلا ما قدَّم، وينظر عن يمينه فلا يجد إلا ما قدَّم، ثم ينظر عن يساره فإذا هو بالنَّار، فاتقوا النَّار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد أحدكم فبكلمة طيبة» (٢).



خلاصة الدرس

يوم القيامة يوم جليل خطبه، عظيم خطره، بل هو اليوم الذي ليس قبله مثله ولا بعده مثله، وكل ما فيه ظاهرٌ ومنكشف.

في ذلك اليوم المشهود تقام محكمة العدل الإلهية التي يقضي فيها رب العزَّة سبحانه بين خلقه وعباده.

---

(١) النحل:٥٣-٥٤

(٢) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ٤ ص ٣٣٥٣

أما الحاكم: فهو الله جلَّ جلاله، جبَّار الأرض والسماء، تباركت أسماؤه، وعظمت صفاته، الذي يعلم السِّر وأخفى، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

من خصائص الحكم الإلهي في يوم القيامة:

العدل المطلق

لا محاباة ولا أنساب تنفع

حكمه لا يقبل النقض

وأما الشهود فهم كثُرٌ فلا مكان للإنكار والكذب والمراوغة.

الشاهد الأول: الله سبحانه.

الشاهد الثاني: الأنبياء والأوصياء.

الشاهد الثالث: بعض الأُمّة الإسلامية.

الشاهد الرابع: الأعضاء والجوارح.

الشاهد الخامس: الملائكة.

الشاهد السادس: صحيفة الأعمال.

الشاهد السابع: الأرض.

إنَّ محكمة الآخرة ليست كمحاكم الدنيا وأهلها، التي تطول لسنين، وربما تظهر براءة المتهم بعد إدانته، ويطول فيها الحسم في الأحكام، ففي محكمة الآخرة يحسم الحكم بسرعة.

المتَّهم هو الإنسان الذي خلقه الله بيده، وأسجد له الملائكة، وكرّمه على كثير ممن خلق.

أرض المحكمة هي أرض أخرى غير أرضنا، لم تطأها قدمٌ من قبلُ، ولم تعمل عليها بخطيئة، ولم يسفك عليها دمٌ، أرض طاهرةٌ من ذنوب بني آدم وظلمهم.

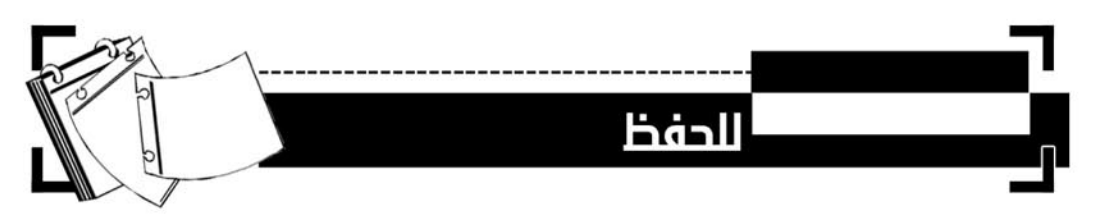


١- ما المراد من محكمة الآخرة ؟

٢- من هم الشهود في هذه المحاكمة ؟

٣- ما يميِّز محكمة الآخرة عن محاكم الدنيا ؟

٤- أين تقع أرض المحكمة وما هي صفتها ؟



﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

﴿أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.



أشعار الحكمة

يـــا نــفــس مــهــلا لا تــعــودي
بـــأيِّ ذنـــب لا تـــعــودي
يـــا نــفــس لا تـعـصـي الإلـــه
وحـــــاذري يـــوم الــوعــيــد
يـــا نــفــس مـــا دام الــهــنــا
فــلــم الـــتـــجـــاوز لــلــحــدود
هـــلا بــكــيــت خــطــيــئــة
بــجــهــنَّــم حــــذر الــخــلــود
هـــلا أعـــتـــبـــرت بـــمـــن قــضــى
قـــبـــل الـــمـــمـــات والـــصـــعـــود
أفـــلا نـــظـــرت إلـــــى الـــثـــرى
وذكـــــرت أنـــــك لــلــصــديــد
يـــا نـــفـــس إيـــــاك الـــهـــوى
إيـــاك مـــن شـــرك الـــحـــقـــود
إيـــاك مـــن فـــعـــل الـــقـــبـــيـــح
ألا احـــــذري نـــكـــث الـــعـــهـــود
لا تـــأمـــنـــي ســـخـــط الـــرؤوف
ألا احـــذري ســـخـــط الـــودود
واذَّكـــــري الـــحـــشـــر الـــمـــخـــيـــف
وعـــــن رقـــيـــب لا تـــحـــيـــدي

أغفلت عن خطر به
يأتي الممات من جديد؟
اغفلت عن موت يفاجئ
كل أفاك عتيد



في كتاب كتبه أمير المؤمنين صلوات اللّه وسلامه عليه إلى أهل مصر مع محمّد بن أبي بكر:

... يا عباد اللّه ! إنَّ بعد البعث ما هو أشدّ من القبر، يوم يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، ويسقط فيه الجنين، وتذهل كلُّ مرضعة عمَّا أرضعت، يوم عبوس قمطرير، يوم كان شرّه مستطيراً، إنَّ فزع ذلك اليوم ليرهب الملائكة الذين لا ذنب لهم، وترعد منه السبع الشداد، والجبال الأوتاد، والأرض المهاد، وتنشقُّ السماء فهي يومئذ واهية، وتتغيّر فكأنَّها وردة كالدهان، وتكون الجبال سراباً مهيلاً بعد ما كانت صمّاً صلاباً، وينفخ في الصور فيفزع من في السماوات والأرض إلاّ من شاء اللّه، فكيف من عصى بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن إن لم يغفر اللّه له ويرحمه من ذلك اليوم ؟ لأنَّه يصير إلى غيره إلى نار قعرها بعيد، وحرّها شديد، وشرابها صديد، وعذابها جديد، ومقامها حديد، لا يغيَّر عذابها ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع لأهلها دعوة.(١)

---

(١) المجلسي - محمد باقر - بحار الأنوار - مؤسسة الوفاء ،. الطبعة الثانية المصححة - ج٧ ص١٠٣

الدرس العاشر

يوم الحساب

تمهيد:

من مواقف القيامة المهولة الحساب

يقول الله تعالى في محكم آياته وقرآنه: **﴿اقْتَرَبَ لِلْنّاسِ حِسابُهُم وهُم فِي غَفْلَة مُعْرِضُون﴾**[1].

تصف الآية الكريمة يوم القيامة بأنَّه يوم الحساب، والحساب الإلهي في عالم الآخرة هو عبارة عن الموازنة بين ما عمله الإنسان من حسنات وسيئات، ليكشف للإنسان ماله وما عليه فيجازى به، وتكشف فيه الصحف والسرائر، ويتجسّد أمام كلِّ فرد عمله، فيراه بكامل تفاصيله وجزئياته، يقول الله تعالى: **﴿ليجزي الله كُلَّ نفس ما كسَبَت إنَّ الله سريعُ الحساب﴾**[2]، ويقول في آية أخرى **﴿ثمّ رُدُّوا إلى اللهِ مولاهُم الحقِّ ألا لَهُ الحُكمُ وَهو أَسرعُ الحاسبين﴾**[3].

---

(١) الأنبياء:١

(٢) إبراهيم:٥١

(٣) الأنعام: ٦٢

مدة يوم الحساب

وإنَّ يوم الحساب ولو سمّيَ يوماً لكنَّه يعد بآلاف السنين من سنيِّ الدنيا، فهناك لا شمس تشرق، ولا أرض كأرضنا تدور، وتوجد في ذلك اليوم مواقف مهمَّة هي التي يتمُّ بها المعاد، وتقام بها الحجَّة الكبرى على الناس، وينالون جزاء أعمالهم.

فإنَّه بعد أن يعطى كلُّ إنسان صحيفة أعماله، يبدأ الحساب، وهو مشهدٌ عجيب، حيث يحاسَب جميع الناس في آن واحدٍ، وتطول فترة حساب كلِّ إنسانٍ وتقصر بحسب أعماله وأهميتها، فمنهم من يقصر حسابه ويمضي لجنَّته التي وعد بها، أو النَّار التي يجزى فيها على سوء صنيعه، ومنهم من يطول حسابه لسنين يعلم الله مداها.

من مشاهد يوم الحساب

لا يختلف يوم الحساب عن يوم القيامة من حيث الأهوال التي يراها الإنسان فيه، وقد تحدثت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة عن أوصاف هذا اليوم المهول وما يواجهه الإنسان من رعب وكارثة، فمن أوصاف هذا اليوم:

يوم الفزع:

بل الفزع الأكبر الذي لا يمكن أن يتخيَّله الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾[١].

إلاَّ أنَّ المؤمنين الملتزمين بأوامر الله تعالى ونواهيه، يثيبهم الله تعالى على حسن إيمانهم أمناً من الفزع والحزن في هذا اليوم. يقول الله تعالى:

﴿**فَهُم مِن فَزَعٍ يومئذ آمِنون**﴾[٢]،ويقول في آية أخرى:﴿**لا يحزنهم الفَزَعُ الأكْبَر**﴾[٣].

(١) الحج: ٢

(٢) النمل: ٨٩

(٣) الأنبياء: ١٠٣

يوم الندامة:

فعندما يرى الإنســان ما قدَّمته يداه، وما فرَّط في حقِّ نفسِّــه وربِّه في دار الدنيا، ويرى أعماله التي كان يعملها في الدنيا، فهناك تحلُّ عليه الندامة، لكنَّ الندامة هنا لا تقارن بندامة المرء في الدنيا، ففي يوم الحساب لا رجوع لتصحيح الأوضاع، لذلك يكون الندم في غايته، وتكون الحســرة في أعلى درجاتها، يقول الله تعالى: **﴿وأَسرُّوا النَّدامةَ لمّا رَأوا العذابَ وَقُضِيَ بَينَهُم بالقِسطِ﴾**[1].

أنواع الحساب وأصناف المحاسبين

والناس في يوم الحساب أصناف:

فمنهم من يدخل الجنَّة بدون حساب.

ومنهم من يدخل جهنَّم بدون حساب.

ومنهم من يستغرق حسابهم وقتاً طويلاً ويحاسب حساباً عسيراً.

ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً.

قال الله تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِه مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِه * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا* إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِه مَسْرُورًا﴾** [2].

فالنَّاس يختلفون اختلافاً كبيراً فيما بينهم بالحساب يوم القيامة، فطائفة يشدد الله في حســابها، وتضمُّ الَّذين يشــدِّدون في حساب النَّاس في الدار الدنيا، وذوي الأخلاق السيِّئة، والظلمة، وطائفة أخرى يكون حسابُ أفرادها سهلاً يسيراً، بسبب أعمالهم الصـالحة، وحسن أخلاقهم، وتساهلهم وتسامحهم مع عباد الله.

رُوِيَ عــن أميــر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: «والنـاس يومئـذٍ على طبقات ومنازل، فمنهم من يحاســب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، ومنهم الَّذين يدخلون

---

(١) يونس: ٥٤

(٢) الانشقاق:٧- ١٣

الجنَّة بغير حساب، لأنَّهم لم يتلبّسوا من أمر الدنيا بشيء، وإنَّما الحساب هناك على من تلبَّس هاهنا، ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير، ويصير إلى عذاب السعير، ومنهم أئمة الكفر وقادة الضلال، فأولئك لا يقيم لهم وزناً، ولا يعبأ بهم، لأنَّهم لم يعبأوا بأمره ونهيه، فهم في جهنَّم خالدون، تلفح وجوههم النَّار، وهم فيها كالحون»(١).

ويحدد الإمام محمّد الباقر عليه السلام سبب التأخر في الحساب يوم القيامة بالدقة التي يكون فيها الحساب، حيث رُوِيَ عنه عليه السلام: «إنَّما يداقّ اللّه العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا»(٢).

ولو رجعنا إلى الآية الكريمة، وما ورد في تفصيلها من الأخبار، يتبين لنا أمور:

١ - الحساب اليسير والرحمة الإلهية:

هو أن يخلو اللّه تعالى بعبده؛ فيعاتبه حتى ليكاد العبد يذوب حياءً من ربِّه، ويفيض عرقه خجلًا من مولاه، ثم يغفر اللّه له، ويرضى عنه بمنِّه وكرمه.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ اللّه تبارك وتعالى إذا أراد أن يحاسب المؤمن أعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه، فيقول: عبدي فعلتَ كذا وكذا وعملتَ كذا وكذا فيقول: نعم يا ربِّ قد فعلتُ ذلك. فيقول: قد غفرتُها لك، وأبدلتها حسنات، فيقول الناس: سبحان اللّه أما كان لهذا العبد سيئةٌ واحدة!!!، وهو قول اللّه عزّ وجلّ ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا** ﴾(٣).

وورد في حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من كنَّ فيه حاسبه اللّه حساباً يسيراً، وأدخله الجنَّة برحمته، قالوا: وما هي يا رسول اللّه؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: تعطي من حرمك وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك»(٤).

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٩٠ ص ١٠٥
(٢) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ١ ص ١١
(٣) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٧ ص ٢٦٢
(٤) م.ن. ج ٧ ص ٩٦

ويستفاد من بعض الروايات أيضاً أنَّ (حسن الخلق) يخفف من حساب يوم القيامة، فقد رُوِيَ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لنوف: «يا نوف صل رحمك يزد اللّه في عمرك، وحسن خلقك يخفف اللّه حسابك»[١].

٢ - الحساب العسير:

و الحساب الشديد هو الحساب الدقيق، و كما أنَّ اللّه يحاسب الإنسان الذي يكون مجمل مسيرته الصلاح و الحسنات الكبيرة حساباً يسيراً فيكفر عنه سيئاته، فإنَّه سبحانه يحاسب الَّذي يكون مجمل مسيرته الفساد و الفواحش الكبيرة حساباً عسيراً لا تغفرُ فيه سيئة، بل تتضاعف، فالآية دلَّت على أنَّ الحساب حسابٌ يسير وآخر عسير، فإذا قلنا إنَّ الحساب اليسير هو التجاوز وعدم التدقيق في الحساب، فإنَّ الحساب العسير هو المناقشة، أو الاستقصاء في المحاسبة، والمطالبة بالجليل والحقير، وترك المسامحة.

من يدخل النَّار بلا حساب ؟

وردت روايات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام في أصنافٍ من الناس لا يحاسبون، فمنهم من يدخل الجنَّة بغير حساب، وبعض يدخل النَّار بدون حساب ولا ميزان، فأمَّا من يدخل النَّار بلا حساب، فهم أهل الشرك.. فعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «إنَّ أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين، ونَشرُ الدواوين لأهل الإسلام»[٢].

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ اللّه عزَّ وجلَّ يحاسب كلَّ خلق إلاَّ من أشرك باللّه عزَّ وجلَّ، فإنَّه لا يحاسب ويؤمَر به إلى النَّار»[٣].

وعدَّت الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام ثلاثة أصناف ممن لا يحاسب ويدخل

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٦٨ ص ٣٨٣
(٢) م. ن. ج ٧ ص ٢٥٠
(٣) م. ن. ج ٧ ص ١١١

إلـى النَّار. حيث رُوِيَ عنه عليه السلام :«وأمَّا الثلاثة الَّذين يدخلهم النَّار بغير حساب، فإمام جائر، وتاجر كذوب، وشيخ زان »[١].

وفي حديث آخر للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عدَّ فيه ستة ممن يدخلونها بغير حساب: «ستة يدخلون النَّار بغير حساب، الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهَّاقين بالكبر، والتجَّار بالكذب، والعلماء بالحسد، والأغنياء بالبخل »[٢].

الحساب دقيق

نستفيد من مجموع الروايات، وحتى الإشارات الواردة في بعض الآيات القرآنية، أنَّ حساب يوم القيامة حساب دقيق للغاية، وجاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال لرجل: «يا فلان مالك ولأخيك ؟ قال: جعلت فداك كان لي عليه حقٌّ فاستقصيت منه حقي، قال أبو عبد الله عليه السلام : أخبرني عن قول اللّه ﴿**وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**﴾ [٣]، أتراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم ؟ لا واللّه خافوا الاستقصاء والمداقَّة»[٤].

مما يطول الحساب؟

كلمَّا تخفف الإنسان من أمر الدنيا، كلمَّا قلَّ وقوفه للحساب، وكما قيل فاز المخفون، وكلمَّا ازداد منها كلمَّا طال وقوفه، وهذا ما ترشد إليه الرواية التالية:

عن الإمام الصادق عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب، كلاهما من أهل الجنَّة: فقير في الدنيا، وغني في الدنيا، فيقول الفقير: يا ربّ على ما أوقف، فوعزَّتك إنّك لتعلم أنَّك لم تولني ولاية فأعدل فيها أو أجور، ولم ترزقني مالاً فأؤدي منه حقاً أو أمنع، ولا كان رزقي يأتيني منها إلاّ كفافاً على ما علمت وقدَّرت لي.

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٧٦ ص ٢٠

(٢) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ١ ص ٦٢٥

(٣) الرعد: ٢١

(٤) الحر العاملي - محمد بن الحسن - وسائل الشيعة - دار إحياء التراث - بيروت -ج ١٨ ص ٣٤٩

فيقول الله جلّ جلاله: صدق عبدي خلوّا عنه يدخل الجنَّة.

ويبقى الآخر حتّى يسيل منه العرق ما لو شربه أربعون بعيراً لكفاها، لم يدخل الجنَّة.

فيقول له الفقير: ما حبسك؟

فيقول: طول الحساب. مازال الشيء يجيئني بعد الشيء يغفر لي، ثمَّ أسأل عن شيء آخر حتّى تغمدني الله عزّ وجلَّ برحمته، وألحقني بالتائبين.

فمن أنت؟

فيقول: أنا الفقير الذي كنت معك آنفاً»[١].

المسائل التي يسأل عنها يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة أوائل خلافته: «إتقوا الله في عباده وبلاده فإنَّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم »[٣].

ومما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة:

العمر والمال وحبّ أهل البيت عليهم السلام

فقد رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه. وشبابه فيما أبلاه. وعن ماله من أين كسبه، وفيما أنفقه. وعن حبّنا أهل البيت»[٤].

الصلاة:

فعن الإمام الباقر عليه السلام: « إنَّ أوّل ما يُحاسب به العبد الصلاة، فان قُبلت قُبِل ما سواها »[٥].

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٧ ص ٢٥٩

(٢) النساء: ٨٦

(٣) نهج البلاغة، خطبة: ١٧٦

(٤) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - ج ٧ ص ٢٥٨

(٥) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية - طهران - الطبعة الخامسة - ج ٣ ص ٢٦٨

الحواس واستعمالها:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾[١]، وقد مرَّ الكلام بأنَّها تشهد على صاحبها بما فعله بها، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

الدَيْن:

ففي الرواية عن أحد الصادقين عليهما السلام، قال: «يؤتى يوم القيامة بصاحب الدَّين يشكو الوحشة، فإن كانت له حسنات أخذَ منها لصاحب الدَّين... وإن لم تكن له حسنات أُلقي عليه من سيِّئات صاحب الدَّين»[٢].

الحقوق والمظالم:

فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع عنده. فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: كلا المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النَّار»[٣].



خلاصة الدرس

من مواقف القيامة المهولة،... الحساب.

إنَّ يوم الحساب ولو سمّيَ يوماً لكنَّه يعد بآلاف السنين من سنيِّ الدنيا، فهناك

(١) الإسراء:٣٦

(٢) المجلسي–محمد باقر –بحار الأنوار– مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة – ج ٧ ص ٢٧٤

(٣) الريشهري– محمد– ميزان الحكمة– دار الحديث، الطبعة الأولى– ج ٣ ص ٢٤٤٤

لا شمس تشرق ولا أرض كأرضنا تدور، وتوجد في ذلك اليوم مواقف مهمة هي التي يتم بها المعاد وتقام بها الحجة الكبرى على النَّاس وينالون جزاء أعمالهم.

فمن أوصاف هذا اليوم: يوم الفزع، يوم الندامة.

والنَّاس في يوم الحساب أصناف:

فمنهم من يدخل الجنَّة بدون حساب.

ومنهم من يدخل جهنَّم بدون حساب.

ومنهم من يستغرق حسابهم وقتاً طويلاً ويحاسب حساباً عسيراً.

ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً.

وردت روايات الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام في أصناف من النَّاس لا يحاسـبون، فمنهم من يدخل الجنَّة بغير حسـاب، وبعض يدخل النَّار بدون حساب ولا ميزان، فأمَّا من يدخل النَّار بلا حساب فهم أهل الشرك.

ممَّا يسأل عنه الإنسان يوم القيامة:

العمر والمال وحبّ أهل البيت عليهم السلام ، الصـلاة، الحواس واسـتعمالها، الدَّين، الحقوق والمظالم.



١- تحدَّث عن صفة يوم الحساب

٢- ما المراد بالمداقَّة في الحساب ؟

٣- من يدخل النَّار بلا حساب ؟

٤- ما هي الأمور التي يحاسب عليها الإنسان يوم القيامة ؟



﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾.

أشعار الحكمة

ولقد علمت بأنَّ قصريَ حفرةٌ
غبراء يحملني إليها شرجع [1]

فبكى بناتي شجوهن وزوجتي
والأقربون إليَّ ثم تصدَّعوا

وتركت في غبراء يكره وردها
تسفي علي الريح حين أودع

حتى إذا وافى الحمام لوقته
ولكل جنبٍ لا محَالة مصرع

نبذوا إليه بالسلام فلم يجب
أحداً، وصمَّ عن الدعاء الأسمع

(١) الشرجع: الجنازة



جزاء الصابرين

رُوي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنَّه قال:

« إذا جمع الله الأولين و الآخرين، ينادي منادٍ أين الصابرون ليدخلوا الجنة بغير حساب؟ فيقوم عنق من الناس فتتلقاهم الملائكة.

فيقولون: إلى أين يا بني آدم ؟

فيقولون: إلى الجنَّة.

فيقولون و قبل الحساب ؟!!

فقالوا: نعم.

قالوا: و من أنتم ؟

قالوا: الصابرون.

قالوا: و ما كان صبركم ؟

قالوا: صبرنا على طاعة الله، و صبرنا عن معصية الله، حتى توفَّانا الله عزَّ و جَلَّ.

قالوا: أنتم كما قلتم، ادخلوا الجنَّة فنعم أجر العاملين.

الدرس الحادي عشر

الجنَّةُ ونعيمها

تمهيد:

كلنَّا يبحث عن السعادة، ولكن لا توجد سعادة كاملة في الدنيا، فالدنيا زائلة، والسعادة الحقيقية في الجنَّة ونعيمها...

والجنَّة دار جعلها اللّه تعالى مستقرّاً لمن أطاعه، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ** ﴾ [(١)].

وهي المرحلة النهائيَّة لرحلة الإنسان المؤمن، حيث هي دار القرار، ومبدأ الحياة الأبدية، التي لا زوال عنها، وهي غاية المؤمنين، ولها يعملون إذ لا نعيم يدانيها، بل كلُّ نعيمٍ دونها محقُور، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وكلُّ نعيمٍ دون الجنَّة محقُور»[(٢)].

وهناك آياتٌ كثيرةٌ تتحدث عن خواص الجنة وأصحابها، والنِّعم الموجودة فيها من الحدائق، والأنهار، والعيون، والأطعمة، والأشربة الطهورة، والألبسة، والحور

---

(١) البروج: ١١

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ٤ ص ٩٣

العيـن، والولدان المخلَّديـن، والخدم، والإحترام، والإكـرام المنقطع النظير من الملائكة، وكذلك المواهب المعنويَّة واللذائذ الروحية.

فما هي الجنة، وماذا أعدَّ الله لأهلها، وما سبب ورودها والفوز بها ؟

معنى الجنَّة

أما المعنى اللغوي: فهي بمعنى البسـتان، والمكان الَّذي فيه زرع وثمار وأشجار، تواري من سـار فيها وتسـتره، أمَّا في المصطلح الشرعي، فإنَّها الدار التي أعدَّها الله تعالى لثواب المؤمنين في الآخرة.

الوصف العام للجنَّة

لأنَّ الجنَّة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على قلب بشـر، ولأنَّها كمـا قـال تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[١].

فلذلـك فإنَّ الله تعالى لا يصـف الجنـة بما هو واقعها، وإنَّما يصـفها على نحو التقريـب فيقول عزَّ وجـلَّ: ﴿ **مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾[٢].

ويقـول في آية أخرى: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ**﴾ [٣].

فـالله تعالى يضـرب لنا المثل فقـط؛ لأنَّ الألفـاظ التي نتخاطـب بها نحن قد وضـعت لمعانٍ نعرفها؛ وإذا كانت في الجنة أشـياء لم ترها عين ولم تسمعها أذن،

(١) السجدة: ١٧

(٢) الرعد: ٣٥

(٣) محمد: ١٥

ولـم تخطر على بال بشـر؛ فمن الممكن أن نقـول إنَّه لا توجد ألفـاظ عندنا تؤدي معنى ما هناك، وبهذا نعرف أنَّ هناك فارقاً بين «مثل الجنَّة» وبين «الجنَّة».

وهنا يتجلَّى عجز اللغة عن أن توجَد بها ألفاظٌ تعبّر عن معنى ما هو موجود في الجنة، فلا أحد فينا يعلم ما هي الأشياء الموجودة بالجنة ما دام أحد منَّا لم يرَ الجنَّة.

خصائص نعيم الجنة

إنَّ الجنَّـة لا تفنـى ولا تبيد، والدليل على هذا ظاهر في كتاب اللّه عزَّ وجلَّ، قال تعالـى عن الجنة: ﴿**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[١]، وقال سـبحانه: ﴿**إِنَّ هَـذَا لَرِزْقُنَا مَا لَـهُ مِـن نَّفَـادٍ**﴾[٢]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**أُكُلُهَا دَائِـمٌ وِظِلُّهَـا**﴾[٣]، وقال تعالى عن فاكهة الجنَّة: ﴿**لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ**﴾[٤].

والإقامة في الجنَّة إقامةٌ دائمة لا تنتهي ولا تزول، وليسـت كذلك جنات الدنيا، فهب أن واحداً يتمتع في الدنيا بالدور والقصـور في الحدائق والبسـاتين التي هي جنَّـة الدنيا، فهل تدوم له؟ إنَّ جنات الدنيا مهما عظم نعيمها، إما أن تفوتك، وإما أن تفوتها.

نعيم محض

إنَّ الجنَّة نعيم محض، فلا يعتريها ما في الدنيا من الكدورة والشـقاء، فالمياه في الدنيا عندما تجري؛ تكون حلوة ورائقة وصـافية؛ وإن ركدت فهي تأسـن وتكون عطنة. ولذلك يوضـح لنا الحقُّ سـبحانه أنَّ المياه في الجنة غير آسنة؛ وأنَّها تكون أنهاراً منزوعاً من مياهها ما يكدِّرها. وكذلك فإنَّ اللبن إذا بقي لمدة طويلة؛ يتغيَّر طعمه؛ ولذلك يضرب لهم المثل بوجود أنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه.

---

(١) هود: ١٠٨

(٢) ص: ٥٤

(٣) الرعد: ٣٥

(٤) الواقعة: ٣٣

وأيضاً يضرب المثل بوجود أنهار من عسلٍ مصفًّى، وبذلك يقدم لنا خير ما كنا نحبه من عسل الدنيا، ولكن بدون ما يكدِّره.

ويوضح سبحانه أيضاً أنَّ في الجنة أنهاراً من خمر، ولكنَّها خمرٌ تختلف عن خمرِ الدنيا؛ فهي لا تؤثر على التكوين العضوي للعقل، كما أنَّ خمر الدنيا ليس فيها لذة للشاربين؛ لأنَّها من كحول يكوي الفم ويلسعه؛. ويقول الحقُّ سبحانه عن خمر أنهار الجنة:

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[1].

أي: أنَّه سبحانه ينفي عن خمر أنهار الجنَّة كل المكدرات التي تشوب خمر الدنيا.

أبواب الجنة

تحدثت الروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام عن أبواب الجنة، ومن ذلك ما رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«إنَّ للجنة ثمانية أبواب: بابٌ يدخل منه النبيّون والصدِّيقون، وبابٌ يدخل منه الشهداء والصالحون،وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصِّراط أدعو، وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبيَّ، ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك وشفعت في شيعتك. ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني، ونصرني، وحارب مَن حاربني بفعل أو قول، في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه.وباب يدخل سائر المسلمين ممّن يشهد أن لا إله إلاّ الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت»[2].

---

(١) الصافات:٤٢ - ٤٧

(٢) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٨ ص ٣٩

ورُوِيَ عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: «أحسنوا الظنّ بالله، واعلموا أنَّ للجنّة ثمانية أبواب، عرض كل باب منها مسيرة أربعين سنة »[١].

درجات الجنَّة

للجنَّة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى** ﴾[٢].

ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا** ﴾[٣].

أنواع الجنَّة

الجنَّات نفسها متنوعة، فهناك جنَّات الفردوس، وجنَّات عدن، وجنَّات نعيم.. وهناك دار الخلد، ودار السلام، وجنَّة المأوى، وهناك عليِّون الذي هو أعلى وأفضل الجنَّات.

غرف الجنَّة

يقال (غرفة) للشيء الذي يرفع ويتناول ثم أطلق ذلك على القسم العلوي للبناء (الغرفة كما قيل: البناء فوق البناء فهو الدرجة العالية من البيت وهي كناية عن الدرجة العالية في الجنَّة).

وللجنَّة غرف فوق بعضها كما في جاء في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ **لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ** ﴾[٤].

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٨ ص ١٣١

(٢) طه:٧٥

(٣) الإسراء:٢١

(٤) الزمر: ٢٠

وفي تفسير هذه الآية ما رُوِيَ عن الإمام الباقر عليه السلام: فيما سأل به أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه

«...فقال علي عليه السلام: بماذا بنيت يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي تلك غرف بناها الله عزّ وجلّ لأوليائه بالدرِّ والياقوت والزبرجد، سقوفها الذهب، محبوكة بالفضة، لكلِّ غرفة منها ألف باب من الذهب، على كلِّ باب منها ملك موكّل به»[١].

نساء الجنة

ذكر تعالى أوصافاً عديدة لنساء الجنَّة، إذ يقول عزَّ من قائلٍ في محكم آياته: ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[٢]، والياقوت حجر كريم ثمين جداً، وهناك الياقوت الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر، ومن خصائصه أنَّ كثرة مسِّه ولمسه لا تعدمه بريقه وتألَّقه. وأحد دواعي تشبيه الحور بالياقوت هو جانب الصفاء والتألق، أما الجانب الثاني في علَّة تشبيه الحور بالياقوت فهو جانب اللون، فهن حمراوات كالياقوت، بيضاوات كالمرجان.

ويقول تعالى في وصف الحور العين: ﴿ **وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**﴾[٣].

(حور) جمع (حورا) و (احور)، وعلى قول الكثير من أرباب اللغة والمفسِّرين (شدة بياض العين في شدة سوادها) وهذا غاية جمال العين، ولقد فسَّره البعض ببياض جميع الجسم، أمَّا كلمة (عين) جمع (أعين)، (على وزن أفضل)، و (عيناء) في الأصل بمعنى العين الوسيعة، وتطلق هذه الكلمة على المرأة التي تمتلك عينين واسعتين جميلتين وجذابتين، أو الرجل كذلك.

إنَّ الحور العين تتصف بجميع الصفات والمحاسن وحسن الظاهر والباطن

---

(١) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية – طهران - الطبعة الخامسة - ج ٨ ص ٩٧

(٢) الرحمن: ٥٨

(٣) الواقعة: ٢٢ - ٢٣

والفضائل الجسمانية والروحانية والأخلاقية، وبذلك فيتصفن بكل ما هو حسن.

ويقول جلَّ وعلا في وصفهن: ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ** ﴾ (١).

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً ﴿ **وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (٢).

فكما يدلَّ التعبير على نقائها وصفائها من كل النقائص والأقذار الجسمية والخلقية، كذلك يشمل أيضا نزاهتها من العيوب والأدران المعنوية والخلقية، فالزوجة في الآخرة مطهَّرة من كل ما يكرهه الزوج فيها، وما لم يحبَّه في الدنيا يختفي.

ومن صفاتهن ما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا** ﴾ (٣).

أي خلقناهن عذارى، كلما آتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً، ويستفاد من بعض الروايات وكلمات المفسرين أنَّ هذه الحالة حالة دائمة لا تتغير، و(عُرُب) أي متحننات على أزواجهنَّ متحبِّبات إليهم، وقيل: عاشقات لأزواجهنَّ، وقيل: العروب، اللعوب مع زوجها، وفسَّرها البعض أيضا بمعنى الدلال.

طعام أهل الجنة وشرابهم

أما طعام أهل الجنَّة، فهو فاكهة ممَّا يتخيَّرون، ولحم طير مما يشتهون، ولا يكون أثر الطعام هناك كأثر الطعام في الدنيا، فأهل الجنَّة لا يبصقون ولا يمتخظون ولا يتغوطون ولا يبولون، وحاجة أحدهم جُشاء ورشح كرشح المسك.

إنَّ الجنَّة تحتوي على جميع ثمار وفواكه الدنيا من حيث الشكل، ولكنَّه يختلف تماماً عما في الدنيا من حيث طعمه، وقد ذكر من ثمار الجنة التين - العنب -

---

(١) الرحمن: ٥٦ - ٥٨

(٢) البقرة: ٢٥

(٣) الواقعة: ٣٥ - ٣٧

الرمان - الطلح (الموز) والبلح (النخيل) و السـدر(النبق) وجميع ما خلق الله تبارك وتعالى لأهل الدنيا من ثمار.

وفواكه الجنة وثمارها في متناول أيادي أهل الجنة، وأنّى شاءوا، فما أن يشتهي المؤمن فاكهة ما حتى يهبط إليه غصـنها وتقترب الثمرة المطلوبة عند فمه، فهو لا يحتـاج إلى النطق والإفصـاح عن حاجتـه أو رغبته أبداً كما قـال تعالى﴿ **وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ** ﴾[١]، ومعنى كلمة (دان) هو قريب، وهي مشـتقة من الدنو فإنَّ ثمار الجنتين وفواكههما قد دنت إلى المؤمن وأضحت في متناول يده وعند رغبته.

متاع أهل الجنة وملبسهم

وأما لباس أهلها، فهو الحرير والذهب والسندس والإستبرق، قال تعالى: ﴿ **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾[٢]، ﴿ **أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾[٣].

وأما فرشها، فمن إستبرق مفروشة في أعلى الرتب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ** ﴾[٤].

وأما الأرائك فهي الأسـرَّة ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ** ﴾[٥].

أنهار الجنَّة وعيونها

وهـي مطلب لراحة النفس في الدنيا على ما فيها من مكدرات، فكيف إذا كانت

(١) الرحمن: ٥٤

(٢) الحج: ٢٣

(٣) الكهف: ٣١

(٤) الرحمن: ٥٤

(٥) الغاشية: ١٣-١٦

فـي مـا لا عين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطـر على قلب بشـر، وقد تكرر في القـرآن الكريـم فـي عـدة مواضـع قولـه تعالى ﴿**جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـن تَحْتِهَا الأَنْهَـارُ**﴾ (١).

وهذا يدلّ على أنَّها أنهارٌ حقيقية، وأنَّها جارية لا واقفة، وأنَّها تحت قصـورهم، وقد ذكر تعالى في آية واحدة أربعة أجناس من الأنهار قال عزَّ وجلَّ:

﴿**مَثَـلُ الْجَنَّةِ الَّتِـي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّـمْ يَتَغَيَّـرْ طَعْمُـهُ وَأَنْهَارٌ مِّـنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِيـنَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَـلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ...**﴾ (٢).

وقد نفى تعالى عن كلٍّ واحدٍ منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه الى الحموضة، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

وللجنَّة أنهار وعيون تنبع كلها من الأنهار الأربعة الخارجة من الفردوس الأعلى، وقد ورد ذكر أسماء بعضها في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة منها:

نهر الكوثر، وعين تسنيم

يصـف أميـر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ نهر الكوثـر فيقـول عَلَيْهِ السَّلَامُ: « وإنَّ الكوثر ليفرح بمحبِّنا إذا ورد عليه، حتى أنَّه ليذيقه من ضـروب الطعام ما لا يشـتهي أن يصـدر عنه،... من شـرب منه شـربة لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يستق بعدها أبداً، وهو في بـرد الكافـور وريح المسـك وطعم الزنجبيل، أحلى من العسـل، وأليـن من الزبد، وأصفى من الدمع، وأذكى من العنبر، يخرج من تسنيم ويمر بأنهار الجنان، يجري على رضـراض الدرِّ والياقوت، فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسـيرة ألف عام، قدحانه من الذهب والفضَّـة وألوان الجوهر، يفوح في

(١) البقرة: ٢٥

(٢) محمد:١٥

وجه الشــارب منه كلّ فائحة حتى يقول الشــارب منه: يا ليتني تركت هاهنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحويلاً »[1].

بالإضــافة إلى أعين أخرى كعين السلســبيل، وهي شــراب أهل اليمين، ويمزج لهم بالزنجبيل، والعين التي مزاجها الكافور، وهي شراب الأبرار، وجميعها أشربة لا تسـكر ولا تصــدع ولا تذهب العقل، بل تملأ شــاربيها ســروراً ونشــوةً لا يعرفها أهــل الدنيا، يطوف عليهم بها ولدان مخلَّــدون كأنَّهم لؤلؤ منثور، بكؤوس من ذهبٍ وقواريرَ من فضَّة.

النعم الروحيَّة

إضافة إلى كلِّ ما ذكر من الملذات الجسمانية، فهناك ملذَّات ونعم روحيَّة كانت في الدنيا أملاً وأمنية، وهي لقاء رسول الله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار عليهم السلام، ومجاورتهم والاتصــال بهم، كما روي عن رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: « وإنَّــك أول مــن يرد عليَّ الحوض، وإنَّك على الحوض خليفتي، وإنَّك أول من يكســى معي، وإنَّك أول داخل الجنَّة من أمتي، و إنَّ شــيعتك على منابر من نور مبيضَّة وجوههم حولي أشفع لهم، ويكونون غداً في الجنَّة جيراني »[2].

والأعظــم من كلِّ ما ذكر مكالمة الله ســبحانه وتعالــى لعبده المؤمن، يقول الله تعالى: ﴿ **سَلامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ** ﴾ [3].

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٨ ص ٢٣

(٢) م . ن . ج ٣٧ ص ٢٧٢

(٣) يس: ٥٨



خلاصة الدرس

الجنَّة هي الدار التي أعدها الله تعالى لثواب المؤمنين في الآخرة.

الجنَّة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولأنَّها كما قال تعالى: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾.

إنَّ الجنَّة لا تفنى ولا تبيد وهي نعيم محض، فلا يعتريها ما في الدنيا من الكدورة والشقاء، فالمياه في الدنيا عندما تجري؛ تكون حلوة ورائقة وصافية؛ وإن ركدت فهي تأسن وتكون عطنة. ولذلك يوضح لنا الحق سبحانه أنَّ المياه في الجنة غير آسنة؛ وأنَّها تكون أنهاراً منزوعاً من مياهها ما يكدرها.

للجنَّة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى**﴾.

إنَّ الحور العين تتصف بجميع الصفات والمحاسن وحسن الظاهر والباطن والفضائل الجسمانية والروحانية والأخلاقية، وبذلك فيتصفن بكل ما هو حسن.

أمَّا طعام أهل الجنة فهو فاكهة ممّا يتخيّرون، ولحم طير مما يشتهون،، ولا يكون أثر الطعام هناك كأثر الطعام في الدنيا.

وأما لباس أهلها، فهو الحرير والذهب والسندس والإستبرق.

وللجنَّة أنهار وعيون تنبع كلها من الأنهار الأربعة الخارجة من الفردوس الأعلى وقد ورد ذكر أسماء بعضها في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

نهر الكوثر، وعين تسنيم، وعين السلسبيل وهى شراب أهل اليمين ويمزج لهم بالزنجبيل

والعين التي مزاجها الكافور وهي شراب الأبرار، وجميعها أشربة لا تسكر ولا تصدع.

إضافة إلى كل ما ذكر من الملذات الجسمانية فهناك ملذات ونعم روحيَّة كانت في الدنيا أملاً وأمنية وهي لقاء رسول الله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار عليهم السلام، والأعظم من كل ما ذكر مكالمة الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن يقول الله تعالى: ﴿**سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ**﴾.



١- بماذا تتميَّز جنان الدنيا عن جنَّة الآخرة ؟

٢-ما هو لباس أهل الجنَّة ؟

٣- ذكر الله تعالى صفات للحور العين فما هي ؟

٤- ما هي اللذائذ المعنوية في الجنَّة ؟



﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾.



أرى عـمـري مـؤذنـاً بـالـذهـاب
تـمـر لـيـالـيـه مـر الـسـحـابِ
وتـفـجـأنـي بـيـض أيـامـه
فـتـسـلـخ مـنـي سـواد الـشـبـابِ
فـمـن لـي إذا حـان مـنـي الـحـمـام
ولـم أسـتـطـع مـنـه دفـعـا لـمـا بـي
ومـن لـي إذا قـلـبـتـنـي الأكـف
وجـردنـي غـاسـلـي مـن ثـيـابـي
ومـن لـي إذا صـرت فـوق الـسـريـر
وشـيـل سـريـري فـوق الـرقـابِ
ومـن لـي إذا مـا هـجـرت الـديـار
واعـتـضـت عـنـهـا بـدار الـخـرابِ
ومـن لـي إذا آبَ أهـل الـوداد
عـنـي وقـد يـئـسـوا مـن إيـابـي
ومـن لـي إذا مـا غـشـانـي الـظـلام
وأمـسـيـت فـي وحـشـة واغـتـرابِ
ومـن لـي إذا مـنـكـرٌ جـدَّ فـي
سـؤالـي فـأذهـلـنـي عـن جـوابـي



عـن أبي بصـير قال: قلـت لأبي عبـد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : جعلت فداك يا بن رسـول الله شوّقني.

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : يا أبا محمّد إنَّ من أدنى نعيم الجنّة يوجد ريحها من مسيرة ألف عـام من مسـافة الدنيا. وإنَّ أدنـى نعيم الجنَّة منزلاً لو نزل بـه أهل الثقلين الجن والإنس لوسـعهم طعاماً وشـراباً ولا ينقص مما عنده شـيء.وإنَّ أيسـر أهل الجنّة منزلاً لو نزل به أهل الثقلين الجن والإنس لو سـعهم طعاماً وشـراباً ولا ينقص مما عنده شـيء.وانّ أيسـر أهل الجنّة منزلةً من يدخل الجنّـة فيرفع له ثلاث حدائق، فـإذا دخل أدناهن رأى فيها من الأزواج والخدم والأنهار والأثمار ما شـاء الله مما يملأ عينه قرة، وقلبه مسرّةً، فإذا شكر الله وحمده قيل له: إرفع رأسك إلى الحديقة الثانية ففيها ما ليس في الأخرى.

فيقول: يا ربِّ أعطني هذه.

فيقول الله تعالى: إن أعطيتك إيَّاها، سألتني غيرها.

فيقول: ربِّ هذه، هذه.

فإذا هو دخلها شكر الله وحمده.

قـال: فيقال: افتحوا له باب الجنّة، ويقال له: إرفع رأسـك، فإذا قد فتح له باب من الخلد، ويرى أضـعاف ما كان فيما قبل، فيقول عند تضـاعف مسرَّاته: ربِّ لك الحمد الذي لا يحصى إذ مننت عليّ بالجنان ونجيتني من النيران.

قال أبو بصير: فبكيت، قلت له: جعلت فداك زدني.

قـال: يا أبـا محمّد إنَّ فـي الجنّة نهراً في حافتـه جوار نابتات إذا مـرَّ المؤمن

بجارية أعجبته قلعها، وأنبت الله مكانها أخرى.

قلت: جعلت فداك زدني.

قال: المؤمن يزود ثمانمائة عذراء، وأربعة آلاف ثيِّب.

قلت: جعت فداك، ثمانمائة عذراء؟!

قال: نعم ما يفرش فيهنَّ شيئاً وجدها كذلك.

قلت: جعلت فداك، من أيِّ شيء خلقن الحور العين؟

قال: من تربة الجنّة النورانيَّة، ويرى مخ ساقيها من وراء سبعين حُلَّة، كبدها مرآته،وكبده مرآتها.

قلت: جعلت فداك، ألهنَّ كلام يكلمنَّ به أهل الجنّة؟

قال: نعم. كلام يتكلمنَّ به لم يسمع الخلائق بمثله.

قلت: ما هو؟

قال: يقلن نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبوس، ونحن الميقات فلا نظعن، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن خلق لنا، وطوبى لمن خُلقنا له، نحن اللواتي لو أنَّ قرن أحدانا عُلق في جو السماء لأغشى نوره الأبصار.

تفسير علي بن إبراهيم. (١)

(١) ج ٢ ص ٨٢ ـ ٨٣.

الدرس الثاني عشر

صفة جهنم

تمهيد:

هي دارٌ أعدَّها الله لمن كفر به، ولمن آمن به وعصاه، وهم الذين ألبسوا إيمانهم بظلم، وفيها ألوان من العذاب لا يطيقها هذا الإنسان الضعيف، وهو عذاب وصفه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «ليس جرحاً بالمدى ولكن ما يستصغر معه ذلك أعاذنا الله منها برحمته»[١].

أوصاف جهنم في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم أوصاف عديدة للعذاب الذي وعد به الله تعالى من خالفه وعصاه، ومن هذه الأوصاف:

١ ـ جهنَّم:

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[٢].

٢ ـ سقر:

(١) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٢ ص ٩٥

(٢) الحجر:٤٣ -٤٤

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾[١].

٣. السَّعير:

﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [٢].

وهذه الكلمة مشتقة من المصدر (سعر) ويعني إذكاء النَّار وتأجيجها، وجاء أيضاً بمعنى شدَّة الاضطرام، ولهذا (فالسعير) يعني النَّار شديدة الإشتعال واللهب والإحراق.

٤ ـ الجحيم:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[٣].

٥ ـ الحطمة:

﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾[٤].

وكلمة (الحطمة) صيغة مبالغة من كلمة (حطم)، بمعنى الكسر والتهشيم وفسَّرها البعض بمعنى تكسير الأشياء اليابسة.

٦ - لظى:

﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾[٥].

وكلمة (لظى) تعني في الأصل النَّار أو شعلة النَّار الخالصة.

٧ - الهاوية:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾[٦].

---

(١) المدثر:٢٦ -٢٩

(٢) الشورى: ٧

(٣) النازعات: ٣٧- ٣٩

(٤) الهمزة:٤ـ٧

(٥) المعارج:١٥- ١٧

(٦) القارعة:٨ـ١١

والهاويـة مأخـوذة في الأصـل من مـادة (هوي) بمعنـى السـقوط لأنَّ الكفار والمجرمين يسقطون فيها. وكما تحتضن الأم ابنها تحتضن جهنَّم من يرد فيها.

أبواب جهنَّم ودركاتها

ذكـرت بعض الآيـات أنَّ لجهنَّم أبواباً كما للجنَّة أبوابـاً، ولكن هناك آية وحيدة ذكـرت عدد أبواب جهنَّم دون ذكر لعددها في الجنَّة، وهي قوله تعالى﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**﴾(١).

فما المراد من الأبواب؟ هل هي طرق دخول الناس إلى جهنَّم؟ أم أنَّ المقصود هو طبقاتها ودركاتها التي ذكرتها الكثير من الروايات ؟

لدى المفسرين في هذا قولان:

القـول الأول: إنَّهـا سـبع طبقات: بعضـها فـوق بعض، وتسـمى تلـك الطبقات بالدركات، ويدل على كونها كذلك قوله تعالى:

﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾(٢). يطلق في اللغة العربية على الخطوات الصـاعدة نحو الأعلى اسـم (الدرجة) وعلى النازلة إلى الأسـفل اسـم (الدركة).

وهناك روايات عديدة وردت عن أهل البيت عليهم السلام تشهد على هذا التفسير. منها مـا رواه في المجمع عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أنَّ جهنَّم لها سـبعة أبواب أطباق بعضـها فوق بعض، ووضع إحدى يديه على الأخرى، فقال عليه السلام: هكذا وإنَّ الله وضـع الجنان على العرض، ووضع النّيران بعضـها فوق بعض، فأسفلها جهنَّم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سـقر وفوقها الجحيم وفوقها السـعير وفوقها الهاوية، قال وفي رواية أسفلها الهاوية وأعلاها جهنَّم»(٣).

---

(١) الحجر:٤٣-٤٤

(٢) النساء: ١٤٥

(٣) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٨ ص ٢٤٦

والقول الثاني: إنَّ قرار جهنَّم مقسوم سبعة أقسام: ولكلِّ قسمٍ باب أولها: جهنَّم. ثم لظى. ثم الحطمة. ثم السَّعير. ثم سقر. ثم الجحيم. ثم الهاوية.

وقوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾(١).

معناه: أنَّه تعالى يجزيء أتباع إبليس أجزاء، بمعنى أنَّه يجعلهم أقساماً وفرقاً، ويدخل في كلِّ قسم من أقسام جهنَّم طائفة من هؤلاء الطوائف.

والخلاصة أنَّ أعمال الإنسان مختلفة، وأصناف المجرمين والكفار متباينة فيما بينها، لهذا فإنَّ عقوباتهم في العالم الآخر غير متساوية، وتختلف فيما بينها اختلافاً شاسعاً.

أنواع العذاب في جهنَّم

كما أنَّ الثواب الإلهي والنعم الموجودة في الجنَّة تقسم يوم القيامة إلى قسمين، (روحية) و (مادية)، فكذلك عذاب جهنَّم أيضا، يقسم هو الآخر إلى نوعين: روحي، ومادي.

وصف بالإجمال لعذاب النَّار

إنَّ أهل النَّار في عذاب دائم، لا راحة ولا نوم، بل من عذاب إلى عذاب، وهم يتمنون الموت فلا يموتون! قد اسودَّت وجوههم، وأُعميت أبصارهم، وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، بدِّلت وجوههم بالسواد، وضربوا بمقامع من حديد، عليها ملائكة غلاظ شداد، فحزنُهم دائم فلا يفرحون، ومقامهم دائم فلا يبرحون ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾،(٢) ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾،(٣) ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ

(١) الحجر: ٤٤
(٢) المائدة:٣٧
(٣) النساء:٥٦

حَمِيمٍ آنٍ﴾، [١] ﴿**إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ**﴾ [٢]، وهم ينادون الله ويدعونه ليخفف عنهم هذا العذاب فيأتيهم الجواب: ﴿**اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾ [٣].

رُوِيَ عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال:

«وأمَّا أهل المعصية فخلِّدوا في النار، وأوثق منهم الأقدام، وغلَّ منهم الأيدي إلى الأعناق، وألبس أجسادهم سرابيل القطران، وقطِّعت لهم منها مقطِّعات من النَّار، وهم في عذاب قد اشتدَّ حرُّه، ونار قد اطبق على أهلها، فلا يفتح عنهم أبداً ولا يدخل عليهم ريح أبداً، ولا ينقضي منهم عمر أبداً، العذاب إبتداءً شديد، والعقاب أبداً جديد، لا الدار زائلة فتفنى، ولا آجال القوم تقضى، ثمّ حكى نداء أهل النَّار، فقال: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾ [٤]، قال: أي نموت، فيقول مالك ﴿**إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**﴾ [٥]» [٦].

خصائص عذاب النَّار

وقد قارن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بين عذاب الدنيا وبلائها وبين عذاب النَّار، ليتبين عظيم الفرق بينهما لمن سمع فوعى، فيتجنَّب كل ما يؤدِّي به إلى عذابها وهوانها:

«يا رَبِّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفي عَنْ قَليل مِنْ بَلاءِ الدُّنْيا وَعُقُوباتِها وَما يَجْري فيها مِنَ الْمَكارِهِ عَلى أَهْلِها، عَلى أَنَّ ذلِكَ بَلاءٌ وَمَكْرُوهٌ قَليلٌ مَكْثُهُ، يَسيرٌ بَقاؤُهُ، قَصيرٌ مُدَّتُهُ فَكَيْفَ احْتِمالي لِبَلاءِ الآخرة وَجَليلِ (حُلُولِ) وُقُوعِ المَكارِهِ فيها وَهُوَ بَلاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ وَيَدُومُ مَقامُهُ وَلا يُخَفَّفُ عَنْ أهله لأَنَّهُ لا يَكُونُ إلاّ عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقامِكَ وَسَخَطِكَ،

(١) الرحمن: ٤٤
(٢) الهمزة: ٩ – ٨
(٣) المؤمنون: ١٠٨
(٤) الزخرف: ٧٧
(٥) المصدر السابق
(٦) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة – ج ٨ ص ٢٩٢

وَهـذا ما لا تَقُومُ لَهُ السَّـماواتُ وَالأرضُ يا سَـيِّدي فَكَيْفَ بي وَأنَا عَبْدُكَ الضَّـعيفُ الذَّليلُ الْحَقيرُ الْمِسْكينُ الْمُسْتَكينُ»[١].

طعام أهل النَّار وشرابهم

إنَّ أهل النار يأكلون ويشربون تماماً كأهل الجنَّة، ولهم ألوان خاصة من الأطعمة والأشربة، ولكنَّها كلّها لا تغني من جوعٍ، ولا تروي من ظمأ.

وأحد تلك الأطعمة (الزقوم)، وهي شجرة عظيمة مهيبة تنبت في قعر جهنَّم ولها ثمـر، قـال تعالى ﴿ **إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ** ﴾[٢]. وهي كمَا وصفها المولى عزَّ وجلَّ في كتابه ﴿ **طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴾[٣].

وهي اسم لعشب مرٍّ كريهِ الرائحة له أوراقٌ صغيرة، وهو عشب عصارته شديدة المرارة وحادة الطعم إذا لامس الجسم تورم.

أمـا الضـريع فهـو كالزقوم، يقطـع الأحشـاء من شـدة حرارتـه، ولا يتجرَّعه المجرمون من فرط مرارته.

وأما الغسَّاق كما قوله تعالى: ﴿ **هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ** ﴾[٤].

قيل: الغسَّاق: القيح الغليظ المنتن.

وأما الأشـربة الوارد ذكرها في القـرآن الكريم، فمنها (الحميم)، ومعنى كلمة (الحميم) هو الماء المغلي، أمّا كلمة (آن) فهي تعني (بالغ) وهي صـفة للحميم، فماء جهنَّم يصـل إلى أقصـى درجات السـخونة والغليان بحيث أنَّ حرارته تقطع لحم وجه الإنسان، يقول تعالى: ﴿ **وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا** ﴾[٥].

---

(١) من دعاء كميل بن زياد رَحِمَهُ اللهُ

(٢) الدخان: ٤٣ـ٤٦

(٣) الصافات: ٦٥

(٤) ص: ٥٧

(٥) الكهف: ٢٩

كمـا أنَّه يقطـع الأمعاء﴿ **كَمَـنْ هُوَ خَالِـدٌ فِي النَّـارِ وَسُقُوا مَـاء حَمِيمًـا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ** ﴾[1].

أمَّا (الغسلين) الذي ذكرته الآية الشريفة: ﴿**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَـامٌ إِلَّا مِـنْ غِسْلِيـنٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ** ﴾[2]. المعروف بين المفسِّرين وأصحاب اللغة أنَّه دم يشبه الماء يخرج من أبدان أصحاب النَّار، وبما أنَّه يشبه الماء الذي يغسل فيه الانسان، سمي بـ (الغسلين)

وشرابهم فيها ماء صديد، قال تعالى﴿ **وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ** ﴾[3]،(دم و قيح) يتجرَّعه (يشـربه غصبا) ولا يكاد يسيغه

لباس أهل النَّار

وكما في النَّار طعام وشـراب ففيها أيضـاً اللباس، وليس اللباس لوقايتهم من الحـرِّ، وإنَّما هو زيادة فـي العذاب، قال تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ**﴾[4]، فهي ثياب من نار.

و قال تعالى: ﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾[5]، والقطران هو النحاس المذاب.

بعض أنواع عذاب أهل النَّار

يتعرض أهل النَّار لأنواع أليمة من العذاب الإلهيّ، وسنتحدث عن بعض ما جاءت به آيات الكتاب العزيز عن هذه الأنواع من العذاب:

(١) محمد: ١٥

(٢) الحاقة: ٣٥ - ٣٧

(٣) إبراهيم: ١٥ - ١٦

(٤) الحج: ١٩

(٥) إبراهيم: ٤٩ - ٥٠

١ - إنضاج الجلود:

إنَّ نار الجبَّار سبحانه وتعالى تحرق جلود أهل النَّار، والجلد موضع الإحساس بألم الإحتراق، ولذلك فإنَّ الله يبدِّل لهم جلودا أخرى غيرها، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[١].

٢ - الصهر:

من ألوان العذاب صبُّ الحميم فوق رؤوسهم، والحميم هو ذلك الماء الذي لا يُتصوَّر مقدار حرارته، فلشدة حرارته تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم: ﴿ **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ**﴾[٢].

٣ - اللفح:

إنَّ النَّار تلفح وجوههم وتغشاها أبداً لا يجدون حائلاً يحول بينهم وبينها ﴿**لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾[٣].

وقال ﴿**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**﴾[٤].

٤ - السحب:

ومن أنواع العذاب الأليم سحبُ الكفار على وجوههم في النَّار، يقول تعالى واصفاً هذه الحالة: ﴿ **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾[٥].

---

(١) النساء: ٥٦

(٢) الحج: ١٩ - ٢٠

(٣) الأنبياء: ٣٩

(٤) المؤمنون: ١٠٤

(٥) القمر: ٤٧ - ٤٨

من ألوان العذاب الروحيّ

يتعرض أهل النَّار لعذاب من نوع آخر، غير العذاب الجسديّ، وهو العذاب الروحيّ وقد ذكر القرآن الكريم بعض الأمثال لهذا العذاب منها :

١ - المهانة:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(١).

تدل هذه الآيات وغيرها أَنَّ عذاب الجحيم مقرون بأنواع الإهانة والتحقير والاستهانة و الغم والحزن الذي يعاني منه أصحاب جهنَّم وهو ما يعكس آلامهم النفسية: **﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾**(٢)،فيقوم خزنتها بإرجاعهم إليها ليذوقوا العذاب.

٢ - كثرة اللوم والتقريع:

وتقول الآية المباركة: **﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾**(٣)، فيقال لهم من قبل اللّه تعالى: **﴿ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾**(٤).

وقد صرح أصحاب اللغة والمفسِّرون بأنَّ كلمة (إخسأ) تعبير يستخدم لطرد الكلب، وأنَّ استخدامه هنا فيه دلالة على احتقار هؤلاء الظلمة والمستكبرين.

٣ - الحسرة:

قال تعالى **﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(٥).

وقال عزَّ من قائل **﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولا ﴾**(٦).

---

(١) الحج:٥٧

(٢) الحج: ٢٢

(٣) المؤمنون: ١٠٧

(٤) المؤمنون: ١٠٨

(٥) سبأ: ٣٣

(٦) الفرقان:٢٧ - ٢٩



خلاصة الدرس

النارُ دارٌ أعدَّها الله لمن كفر به، ولمن آمن به وعصاه، وهم الذين ألبسوا إيمانهم بظلم، وفيها ألوان من العذاب لا يطيقها هذا الإنسان الضعيف.

أوصاف جهنَّم في القرآن الكريم:

جهنَّم، سقر، السَّعير، الجحيم، الحطمة، لظى، الهاوية.

ذكرت بعض الآيات أنَّ لجهنَّم أبواباً كما للجنة أبواباً، ولكن هناك آية وحيدة ذكرت عدد أبواب جهنَّم وهي قوله تعالى﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ** ﴾

كما أنَّ الثواب الإلهي والنعم الموجودة في الجنَّة تقسَّم يوم القيامة إلى قسمين (روحيَّة) و (ماديَّة) فكذلك عذاب جهنَّم أيضا يقسَّم هو الآخر إلى نوعين: روحيّ، وماديّ.

إنَّ أهل النَّار يأكلون ويشربون تماماً كأهل الجنَّة، ولهم ألوان خاصة من الأطعمة والأشربة ولكنَّها كلها لا تغني من جوعٍ، ولا تروي من ظمأ.

وكما في النَّار طعام وشراب ففيها أيضاً اللباس، وليس اللباس لوقايتهم من الحرِّ وإنَّما هو زيادة في العذاب.

يتعرض أهل النَّار لأنواع أليمة من العذاب الإلهيّ من هذه الأنواع من العذاب:

١ - إنضاج الجلود

٢ - الصهر

٣ - اللفح

٤ - السَّحب

يتعرض أهل النَّار لعذاب من نوع آخر غير العذاب الجسديّ، وهو العذاب

الروحـيّ وقد ذكر القرآن الكريم بعضـ الأمثال لهذا العذاب منها : المهانة، كثرة اللوم والتقريع، الحسرة.



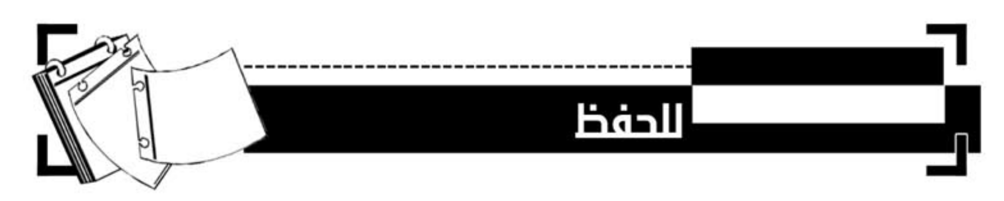
أسئلة حول الدرس

١- عدد بعض أسماء العذاب في الآخرة

٢- ما هي خصائص نار جهنَّم ؟

٣- ماذا يأكل أهل النَّار ؟

٤- عدِّد بعض العذاب الروحيِّ الذي يلاقيه أهل النَّار



للحفظ

﴿ وَيَـوْمَ يَعَضُّ الظَّالِـمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَـعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَـى لَيْتَنِـي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِـي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾

﴿ فَالَّذِيـنَ كَفَـرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾



ومن لي إذا قام يوم النشور
وقمت بلا حجة للحساب
ومن لي إذا ناولوني الكتاب
ولم أدر ماذا أرى في كتابي
ومن لي إذا امتازت الفرقتان
أهل النعيم وأهل العذاب
وكيف يعاملني ذو الجلال
فأعرف كيف يكون انقلابي
أبا للطف، وهو الغفور الرحيم،
أم العدل وهو شديد العقاب
ويا ليت شعري إذا سامني
بذنبي وواخذني باكتسابي
فهل تحرق النار عيناً بكت
لرزء القتيل بسيف الضبابي ؟
وهل تحرق النار رجلاً مشت
إلى حرم منه سامي القباب ؟
وهل تحرق النار قلباً أذيب
بلوعة نيران ذاك المصاب ؟



عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قلت له: يا ابن رسول الله خوّفني فإنَّ قلبي قد قسا

فقال: يا أبا محمّد استعدَّ للحياة الطويلة، فإنَّ جبرائيل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو قاطب، وقد كان قبل ذلك يجيء وهو مبتسم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرائيل جئتني اليوم قاطباً؟

فقال: يا محمّد قد وُضعت منافخ النَّار.

فقال: وما منافخ النَّار يا جبرائيل؟

فقال: يا محمّد إنَّ الله عزَّ وجلّ أمر بالنَّار فنفخ عليها ألف عام حتّى اسودت فهي سوداء مظلمة.

لو أنَّ قطرةً من الضريع قَطَرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أنَّ حلقةً واحدةً من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها،

ولو أنَّ سربالاً من سرابيل أهل النَّار علّق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه.

قال: فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبكى جبرائيل، فبعث الله إليها ملكاً، فقال لهما: إنَّ ربَّكما يقرؤكما السلام ويقول: قد أمنتكما أن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبرائيل مبتسماً بعد ذلك ثمَّ قال: إنَّ أهل النار يعظمون النار وإنَّ أهل الجنَّة يعظمون الجنَّة والنعيم، وإنَّ جهنَّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع

الحديـد، وأعيدوا فــي دركها، فهذا حالهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق**﴾ (١)

ثمَّ تبدَّل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم.

قال: أبو عبد الله عليه السلام حسبك؟

قلت: حسبي، حسبي

تفسير علي بن إبراهيم القمّي (٢)

---

(١) الحجّ: الآية ٢٢

(٢) ج ٢ ص٨١

الفهرس

ممّا يسهّل عبور الصراط

من الأمور التي تسهّل على المارِّ على الصراط مروره واجتيازه، وتقوده للنجاح والوصول للجنة:

١ - التمسُّك بالرسول الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام:

فالتمسُّك بالرسول الأكرم ﷺ، وأهل بيته الطاهرين، يسهِّل اجتياز هذا الطريق المخوِّف، فقد جاء في حديث عن الرسول الأكرم ﷺ: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنَّم، لم يجزْ عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب»[١].

٢ - صوم أيامٍ من رجب:

فقد رُوِيَ عن الرسول الأكرم ﷺ: «...ومن صام من رجب ستَّة أيام، خرج من قبره ولوجهه نور يتلألأ، أشدّ بياضاً من نور الشمس، وأعطى سوى ذلك نوراً يستضئ به أهل الجمع يوم القيامة، وبعث من الآمنين يوم القيامة، حتى يمرَّ على الصراط بغير حساب»[٢].

٣ - الصلاة مخصوصة:

وتكون في الليلة التاسعة والعشرين من شعبان، فعن الرسول الأكرم ﷺ: «مَن صلّى في الليلة التاسعة والعشرين من شعبان عشر ركعات، يقرأ في كلِّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة، وألهاكم التكاثر عشر مرّات، والمعوذتين عشر مرّات، وقل هو الله أحد عشر مرّات، أعطاه الله تعالى ثواب المجتهدين، وثقّل ميزانه، ويخفِّف عنه الحساب، ويمرُّ على الصراط كالبرق الخاطف»[٣].

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء،الطبعة الثانية المصححة - ج ٨ ص ٦٨

(٢) الصدوق - ثواب الأعمال - منشورات الشريف الرضي - قم- ص ٥٥

(٣) ابن طاووس - إقبال الأعمال - مكتب الإعلام الإسلامي - ج ٣ ص ٣٦٤